الجزء الثاني

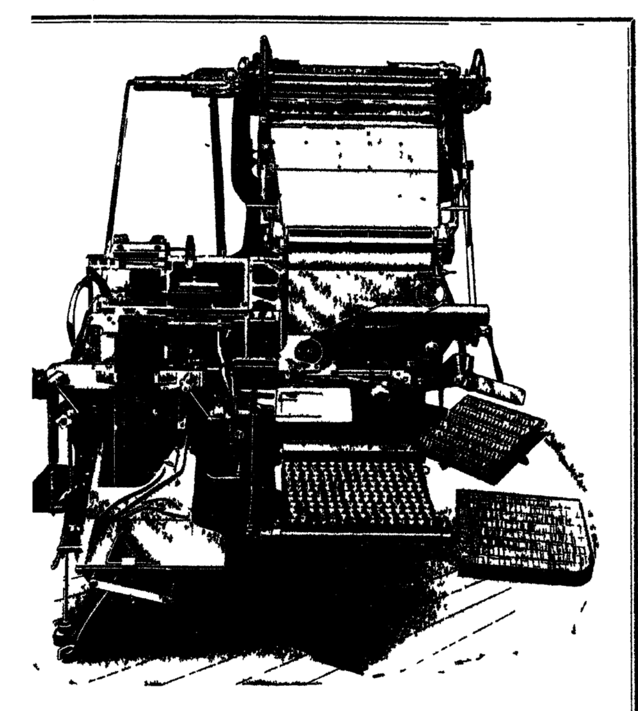
ثمنه قرشان صاغ

تاريخ الحرب العظمى



امبراطور المانيا

طبع في مطبعة المقتطف والمقطم بشارع القاصد بمصر



ماكنة اللينوتيب وعليها رتبت حروف هذا الكتاب

الفصل العاشر

انزال الحملة الانكليزية الى فرنسا

كتمان حركاتها — حرس العواصات العرسوية — المترحمون — مجيء اركان حرب الجيشين الفرنسوي والانكليزي — اعداد المعسكرات والمستشفيات — رينة بولون — الاعجاب بالجنود والمدافع — معادرة بولون الى ساحة القتال — رسالة الملك حورج الى رجاله — نصيحة اللورد كتشنر لهم — احلاء بولون من الحند

جعل نغر بولون قاعده لنزول الحمله الانكليزيه الى فرنسا وارسالها الى ميدان الحرب . وهو ملائم لهذا الغرض من وجوه كثيره . فانه يمكن خمس بواخر نقالات معا ان ترسو عند رصيفه وتنزل محمولها من الجنود وتوابعهم من مدافع ومركبات نقل ومستشفيات نقاله ومؤن وذخيره وسائر ما يلزمهم. وقد أسدل دون هذه الحمله حجاب صفيق من السرّ والخفاء فلم يدر احد من الجمهور بسفرها ولا بمكانه وزمانه . وانزل الجزء الاول منها الى بولون قبلما عرف الجمهور الانكليزي انها غادرت سواحل انكلترا . ذلك بان الاوامر صدرت الى الاورط التي تتألف منها ان تترك ثكناتها وتذهب الى حيث لا تدري. ثم اركبت القطارات وكان سائقوها يجهلون المكان الذي تقصده قطاراتهم. ولما اركبت الجنود النقالات في ثغر سوثمبتون عرفوا على سبيل الحدس والتخمين انهم ذاهبون الى فرنسا ولكنهم لم يعرفوا ايّ الثغور يقصدون . وبلغ الكتمان حدّه الاقصى حتى ان ربّان النقاله لم يدر اين تمخر نقالته لانهم كانوا قد زودوه باوامر مختومه يفتحها على بعد عشره اميال من البر

جعل ثغر الهافر ايضاً مكاناً ثانياً لنزول رجال الحمله . وكان تخفر النقالات التي

والى ثغر بولون قسم من الاسطول الفرنسوي . وكانت غواصاته تروح وتجيء من بولون واليها على الدوام قصد الاستطلاع . ولم يمكن في هذا الثغر اخفاء التدابير التي اتخذت لانزال الحملة ولكن الصحف لم تذكر شيئاً البتة عنها انكليزية كانت او فرنسوية . اما الآن وقد زال سبب ذلك التكتم فلا حرج اذا فصلنا ما جرى للحملة تماماً

اول علامة ظهرت بقدوم الحملة وصول نفر من الضباط الفرنسويين الى بولون ونزولهم في فندق كريستول المناوح للميناء وكانوا يحسنون الانكليزية ثم ظهر انهم الضباط الذين عينهم اركان الحرب للترجمة بين الجيشين . وكان احدهم تاجر قطن في ليفربول . وثانٍ معلماً في مدرسة . وثالث موظفاً في شركة فرنسوية بمدينة نيوكاسل الانكليزية. ورابع محامياً طالما وقف للدفاع امام المحكمة الانكليزية العليا . وخامس كونتاً فرنسوياً . وسادس صياداً مشهوراً . وسابع رجلاً ذايسار يعرف لندن وباريس معاً . وثامن من ملحقي السفارات سابقاً

الى هؤلاء وامثالهم عهد في المساعدة على نزول الحملة الانكليزية الى البر الفرنسوي وارسالها الى الميدان ومرافقتها اليه . وكثيرون منهم سقطوا وهم يقاتلون بجانب اخوانهم الانكليز والاسكتلنديين

ولم يمضِ الا القليل حتى ظهر بغتة ضباط اركان حرب الحملة ونزلوا في الفندق نفسه. وصدر الامر الى تجار بولون بان ينقلوا سلعهم وبضاعتهم من رصيف «لوبه» المعد لنزول الجنود الانكليزية فاطاعوا الامر حالاً . ثم اقبلت النقالة الاولى تحمل امتعة للجنود ونفراً منهم . وبقيت النقالات يومين لا تنقل سوى الامتعة وفي خلالهما اعدت خمسة معسكرات للجنود في الهضاب المحدقة ببولون . ومما يستحق الذكر ان بعض الاماكن التي اقيمت هذه المعسكرات فيها اتخذها نابوليون الكبير معسكرات للجنود التي حشدها في بولون قصد غزوة انكلترا .

وفي الميناء حشد السفن المسلحة لنقل الجنود وانفاذ ذلك القصد

والظاهر انه كان في النية في اوائل الحرب جعل بولون قاعدة دائمة تصلها الجنود من انكلترا ويعاد المرضى والجرحى اليها بطريقها ولكنهم عدلوا عن هذا العزم بعد ما تدفقت سيول غزاة الالمان على فرنسا من مونس وشارلروا

ونشر محافظ بولون في عاشر اغسطس منشوراً قال فيه :

«الى مواطنيّ الكرام . في هذا اليوم يقدم مدينتنا الجيش الانكليزي الباسل لمعاونة جنودنا الشجعان على صدّ اعتداء المانيا القبيح . وقبل غزوة البرابرة هذه قامت اوربا قومة رجل واحد تناهض امة بربرية مثلها هددت سلام العالمين والامن العام . وبولون التي هي احدمواطن الاتفاق الودي ترحّب بابناء انكلترا ترحيب الاخوة . فعلى اهل المدينة ان يزينوا واجهات منازلهم برايات البلدين».

فزين اهل المدينة منازلهم بالاعلام الانكليزية والفرنسوية والبلجيكية اجابة لطلب المحافظ

وبينما كانت الجنود الفرنسوية لا تزال تقصد حدود البلجيك كانت الجنود الانكليزية تصل بولون بالالوف من ١٣ اغسطس وبقيت كذلك عشرة ايام متوالية . وكان اعجاب الفرنسويين برجالها شديداً . قالت جريدة «فرانس دونور» في بعض اعدادها «ان منظر هؤلاء الجنود الرائعين مهابة الذائبين ظرفاً المتدفقين بشراً لما يبشر بالخير ويعد باليمن والاقبال». وبقيت الجنود تؤم معسكرات بولون ثم تغادرها الى ميدان الحرب عشرة ايام . وفي اثناء اقامتها اقبل اهل المدينة عليها لزيارتها وتبودلت الهدايا بين الفريقين فكان البولونيون يقدمون اليها السيجارات والحلوى والجنود تهدي اليهم مقابلها حروف النحاس التي على اكتافها وهي اوائل اسماء اورطها فجعلت منها بنات بولون قلائد لنحورهنّ

وكان المشاة هم اول الجنود التي نزلت الى بولون . ثم جاء الطوبجية على

انرهم . وعند وصولهم كان بعض الالمان قد احدقوا بحصون لياج والبعض تقدموا حتى بلغوا بروكسل. وتلا الطوبجية الفرسان على اختلاف بلوكاتهم والويتهم ثم رجال الحملة فرجال القسم الطبي بمستشفياتهم النقالة التي لا تحصى. ثم المهندسون بقواربهم المعدة لمدّ الجسور . وفي آخر الجميع جاءت فصيلة الطيارين وهي مؤلفة من مئة رجل

ولما نزل آخر جندي انكليزي الى بولون كانت طلائع الحملة قد بلغت حدود البلجيك تحاول صدّ الالمان عن الزحف على غير طائل . وكان بعض جنود الحملة يصلون بولون يوماً وفي غد ذلك اليوم كنت تراهم في خنادق « كمبراي » يترصدون الالمان . ولم يمضِ اسبوع حتى عاد بعضهم وسواعدهم مربوطة ورؤوسهم معصوبة . ويقال بالاختصار ان انزال الحملة الى البر الفرنسوي كان عملاً من جلائل الاعمال في ابتداء هذه الحرب العظيمة يذكر بهدوئه وحسن نظامه

وقبل سفر الحملة من انكلترا ودعت برسالتين الواحدة من الملك والثانية من اللورد كتشنر . اما رسالة الملك فهذه ترجمتها :

« انكم تغادرون اوطانكم للدفاع عن سلامة سلطنتي وشرفها . فان البلجيك التي تعهدنا بحمايتها هاجمها عدوّ قوي وسيهاجم فرنسا قريباً . على ان ثقتي بكم عظيمة يا جنودي . فليكن شعاركم عمل الواجب وانا اعلم انك تقضون ذلك الواجب بشرف . وساتتبع كل حركة من حركاتكم بمزيد الاهتمام واسرّ اذ اسمع انباء تقدمكم اليومي . واعلموا ان امر خبركم ورفاهكم لا يغيب البتة عن بالي . ادعو الى الله بان يبارككم ويردكم منصورين » . واما رسالة اللورد كتشنر فقد علم القراء كنهها من الرسائل البرقية التي وردت في حينها فلا حاجة الى اعادتها

ومرّ يومان على سفر ساقة الحملة من بولون ثم جاءت الانباء بان الالمان

يزحفون ويهددون بلاد «بادي كاليه» وان سكة الحديد من بولون الى باريس بطريق اميان قطعت على اثر نسف كبري بيكوينييه . وشاع حينئذ ان الالمان ينوون مهاجمة بولوز نفسها فغادرها كل جندي فرنسوي كان فيها .ولم يمضِ الأسبوع الاول من سبتمبر حتى قطعت المواصلات بينها وبين داخلية فرنسا وباتت تحت رحمة الغازي بلا حامٍ يذود عنها

الفصل الحادي عشر

كيف غزا الالمان البلجيك

مشروع فرنسا الدفاعي — مساعدة الوقت — قوة روسيا بعد التجدد — قوة مدافع الحصار الالمانية — استهانة ملك البلجيك بالمانيا — قسوة الالمان في البلجيك — اضطرام روح الوطنية في البلجيك — اعتمادها على فرنسا وانكلترا — بدء الغزوة الالمانية — خرق الالمان لقانون الحرب بين الامم المتمدنة — ادلة القتل والفظائع — الوقوف امام لياج — عمل فرسان الالمان — انتقام الفلاحين —بعض المناوشات — انتصار الجنود البلجيكية في هالن — زحف الجيش الالماني — انكسار الجيش البلجيكي في ترلمون ولوفان

سيذكر التاريخ ما بقي حكاية خراب البلجيك في اوائل هذه الحرب العظمى ويعدّها من اجلّ الفاجعات في العصور القديمة والحديثة معاً . فان امة صغيرة اكرهت على الوقوف في مقدمة القتال لا عن ذنب جنته ولا عن رغبة منها في الحرب . واحتمل جيشها هجوم دولة من اعظم الدول الحربية في الارض . رأى اهلها مدنهم الجميلة تتهدم وبيوتهم تخرب والوفاً من شبانهم تهلك ونسيج معيشتهم الاجتماعية يمزق شرّ ممزق . وسيموا العذاب الواناً على يد جيش قوي لا يرحم. وان صنوف البلاء التي حاقت بهم لتذكرنا الفظائع التي ارتكبتها اسبانيا في

هولندا محاولة الاستيلاء عليها . او فظائع حرب الثلاثين سنة . او فظائع قوم جكيزخان وتيمورلنك لما طغى سيلهم على سهول اسيا الوسطى

وربّ سائل يسأل لِمَ لم يبذل الحلفاء جهداً اعظم مما بذلوا لمنع تلك الطامّة؟ ولِمَ لم تزحف الجيوش الفرنسوية مسرعة فتتجاوز الحدود وتستولي على خط الموز وتوقف الغزاة عند حدّهم؟هذان سؤالان سألهما البلجيكيون انفسهم وجمّ غفير من محبيهم والمعجبين بهم في انكلترا وغيرها .وجواباً عليهما نقول ان اعظم رجال العسكرية في فرنسا وانفذهم بصيرة اعتقدوا بان جعل حدود البلجيك خط الدفاع الاكبر يفضي الى خراب البلجيك خراباً دائماً وخراب فرنسا ايضاً. فان المانيا كانت ترمي في اول الحرب الى ضرب باريس التي هي قلب فرنسا باسرع ما يمكن من الزمن والى كسر الجيوش الفرنسوية قبلما تستطيع روسيا مساعدة حليفتها مساعدة تذكر . اما فرنسا فقد كانت غايتها درء الضربة الالمانية ومحاولة دخول ارض المانيا

وقد كان همّ اركان حرب الجيوش الفرنسوية بعد حرب سنة ١٨٧٠ سبرغور المانيا ليعلموا كيف تضرب ضربتها وكيف تتقى تلك الضربة . وكانت خطتهم الحربية تدور على امرين متوارثين عن الحرب المذكورة . الواحد سياسي وهو استرجاع ولايتي الزاس ولورين وهذا ما حمل فرنسا على حشد جيوشها على الحدود الشرقية من بلفور الى لونجوي . والثاني حربي وما له ان فرنسا كسرت مرة بعد اخرى في الحرب الماضية لان جيوشها انفصل بعضها عن بعض فتمكن الالمان من مهاجمتها وسحقها واحداً بعد واحد . فان جيش بازان حصر في متس فاضطر الى التسليم وجيش مكماهون الضعيف انفصل عن سائر الجيش فاحدق به الالمان في سيدان حيث سلّم ايضاً بعد مقاومة بديعة . فلذلك قرر اركان حرب الجيش الفرنسوي في هذه الحرب ان تبقى جيوشهم متضامة مهما افضى اليه

ذلك القرار من خسارة الارض والرجال

ولا بد للقارىء من ادراك هذه الحقيقة المركزية في الخطة الفرنسوية الحربية ليمكنه تتبع حركات الجيوش في اوائل الحرب وفهم تلك الحركات . فلما دخل الالمان لكسمبرج في ٢ إغسطس كان لهم منها مدار يزحفون منه الى اية جهة ارادوا . فاذا اتجهوا غرباً بلغوا لونجوي.او شمالاً بطريق لكسمبرج البلجيكية استطاعوا بعد اخذ لياج ان يستولوا على الطريق المؤدي الى شمال فرنسا . او جنوباً استطاعوا ضرب فرنسا حذاء خط الحصون الكبرى . ولو شاءت فرنسا حماية ارضها وارض البلجيك كلها من الهجوم عليها لوجب ان تمتد جيوشها من بلفور الى نامور على محاذاة نهر الموز الى لياج وتثبت عند هذا الخط الطويل اذن لباتت غزوة المانيا للبلجيك مستحيلة . ولكنها لو حاولت ذلك لشطر جيشها شطرين فيما يرجح ولأمكن الالمان سحق كل منهما على حدة وبسهولة

ولكن اخراج الخطة الفرنسوية من القوة الى الفعل اي ابقاء الجيوش متضامة يستلزم خسارة عظيمة وهي ترك الالمان اولاً يجتاحون بلاد البلجيك وثانياً يتقدمون الى الساحل الفرنسوي اذاشاؤوا حيث يدخلون اراضي فرنسا الشمالية الغنية بمعاملها ومناجمها ويخربونها على هواهم.ولا بدّ ان قواد الجيش الفرنسوي ادركوا هذا الامر واذعنوا له اجابة لداعي الضرورة والاّ فقد كان لهم متسع من الوقت لتوجيه جنودهم الى جنوبي البلجيك وامداد الجيش البلجيكي عند لياج وطرد الاوهلان (فرسان الالمان)من بروكسل واواسط البلجيك

وكل يوم يمرّ على فرنسا وهي ثابتة في وجه الجيوش الالمانية ومانعة جيوشها من التفرق يدنيها من النصر لانها لا تحارب في هذه الحرب وحدها . فان انكلترا سدّت البحر في وجه المانيا وارسلت حملة لمساعدة فرنسا براً . وروسيا اخذت تتحرك من الشرق في جهة المانيا ببطءٍ ولكن ضخامة جحافلها وحسن استعدادها

بحولان دون وقوف احد في وجهها على ما يلوح لنا.فانها تستطيع ان توجه على المانيا والنمسا مليوني رجل على القليل وتمدّهم على الدوام بجنود نسدّ النقص الذي يطرأ عليهم ونزيد . فروسيا التي تواجهها المانيا الآن في المعترك ليست روسيا التي كانت قبل حرب اليابان — اي امة عظيمة كانت تعيش على شهرتها العسكريه بل امه تعلمت دروساً حسنه بعد انكسارها فى تلك الحرب فتقحت طرفها وجددت شبابها الحربي ونظمت جيشها حتى اصبح العالم الآن يرى جيشاً هو اضخم الجيوش طرّاً ومن احسنها عدة واتمّها اهبة واكثرها مضاءً

اما ما عملت روسيا بعد عهدة وشنطون (التي عقد الصلح فيها بينها وبين اليابان) فهو انها نهضت تبحث بحثاً دقيقاً في اسباب ضعفها العسكري الذي لم تكن تحسّ به لعلها تستطيع تشخيص الداء . فان الجنود الروسية فعلت في اواخر تلك الحرب ما لم تفعله في اوائلها اذ اوقفت اعداءها عند حدّ محدود بضعة اشهر تمكنت في خلالها من جعل مركزها عزيزاً يكاد لا يؤخذ . فلما انتهت الحرب كانت قوتها العسكريه هناك فى اوجها . ولكنها مع ذلك سيمت ذلاً وهواناً لان ذكرى معارك يالو ولياوينغ وشاهو وبورت آرثر ومكدن لاتنسى . وانحطت قيمتها حتى فيّ عين نفسها

هذا هو الذي حمل روسيا على اعاده تنظيم جيشها . فاحالت كبار قوادها الى المعاش محفوفين بالعار والخزي واقتصت شديد القصاص من مقاولي الجيش الذى اغتنموا ساعة الخطر الوطني لاشباع بطونهم . وجعلت استعدادها الحربي من سنه ١٩١٠ يدور على محور واحد وهو الدفاع عن سلطتها من هجوم النمسا والمانيا عليها.وزارت لجنه عسكريهروسيا من ثلاث سنين فادهشها مقدار ماتم من الاستعداد فى ذلك الوقت الوجيز . ولما اخذ اركان حرب الجيش الفرنسوي يضعون خطتهم الاخيرة فى اوائل اغسطس الماضي كانوا يعرفون ان التعبئة



فرسان اليوهلان الالمـان

يحاولون اجتياز الحواجز والاسـلاك الشائكة التي

نصبها البلجيكيون حول حصون لياج

الروسية بدأت وانه لا تمضي عدة اسابيع حتى تكون الجنود الروسية قد شرعت تعبر نهر فستولا فتكره المانيا بذلك على نقل جيوشها الى الشرق لمقاومة الهجوم الذي يتهددها فيه . وحينئذ تسنح فرصة فرنسا العظيمة

وعليه قرر اركان حرب الجيش الفرنسوي في خطتهم ان يوجهوا قوات كبيرة الى الزاس ولورين للاغارة عليها وظنوا انهم يلاقون معظم الجيش الالماني هناك . وبينما يزحف معظم الجيش الفرنسوي في لورين تقف القوات الباقية في وجه الالمان شمالاً ويرسل بعض الفيالق لمساعدة الجيش البلجيكي فتزحف المشاة على نامور التي هي مفتاح القسم الاعلى من وادي الموز وتغشى الخيّالة بلاد اردان والبلجيك الوسطى فتطرد خيالة الالمان منها . وتحافظ جنود التريتوريال على خطوط المواصلات من وراء . وهذه الجنود مؤلفة من كل من كانت سنّه ثلاثين سنة فما فوق

ولم يكن ينتظر ان لياج تطيق الحصر زمناً طويلاً بل ان معظم الخبيرين العسكريين كانوا يقولون انها لا تصبر سوى يومين او ثلاثة ايام في الاكثر على مهاجمة الالمان اياها بجميع ما لديهم من حول ومن قوة . وبذلك يستهدف قلب البلجيك للغارة الالمانيه . ولكن نامور والبلاد الجبلية الواقعه جنوبي نهر الموز تستطيع الثبات طويلاً . ولو جاء الالمان بقوة كبيرة غير منتظرة الى الشمال فان الاستحكامات الفرنسوية الممتدة وراء نامور من ليل الى مزيير تصدهم عن التقدم ريثما تظهر روسيا قوتها

على انه فات القواد الفرنسويين في حسابهم امران لم يقدروهما حق قدرهما. فاولاً استهانوا بقوة مدافع الحصار الالمانية الجديدة وخصوصاً مدافع هويتزر الضخمة التي عرف ان المانيا تعدّها للايام الصعبة ولم يحسبوا حساب ما تستطيع تلك المدافع من التدمير الهائل . وثانياً ــ وهو اهم ــ لم يحسبوا حساب ما طرأ

على سرعة حشد الجيوش من التغيير على اثر ادخال السيارة (الاوتوموبيل) في نظام الجيش . فان المانيا اعدّت من هذه السيارات ما يكفي لنقل المدافع والميرة والمؤن والرجال . واصبحت مقدمة جيشها الآن مؤلفة من سلاحين — الخيالة والسيارة المدرعة لنقل المدافع . واعدت لنقل المشاة الوفاً من سيارات اخرى تقطع في يوم مسافة لا يقطعها الجيش على اقدامه الا في ستة ايام ثم ينزلون منها وهم لا يشعرون بشيء من وعثاء السفر

وبعدمهاجمة الالمان لحصون لياج كما تقدموصفه في فصل سابق سعى امبراطور الالمان سعياً ثانياً لاستمالة البلجيكيين اليه. ذلك بانه وعد ملك البلجيك بواسطة ملكة هولندا ان يضمن معاملة البلجيكيين احسن معاملة ويرعى حرمة استقلالهم وسلامة املاكهم من كل جهة اذا عدلت البلجيك عن المقاومة وسمحت للجنود الالمانية بالمرور في ارضها لمهاجمة فرنسا . فاجاب ملك البلجيك بقوله «ان انكلترا وفرنسا وروسيا وعدت رسمياً ان تساعدنا في حربنا.والجيوش الفرنسويةبادرت على عجل فدخلت ارضنا اجابة لندائنا واستغاثتنا . فاذا لم تقوَ على دفع النائبة عنا فان الشرف لا يسمح لنا بالنكوص على الاعقاب . على ان ما فازت البلجيك به اولا تفوز انكلترا وفرنسا به ثانياً بمساعدتها اذ تطاردان العدو المنهزم والمشتت الشمل الى بلاده فيسلم شرفنا من الاذى ويبقى اسمنا مجيداً الىالابد»

اما منظر البلجيك في اوائل الحرب فكان منظراً رائعاً شائقاً فان صدور القوم كانتتغليحمية وضغينة على العدو.واضيف الىبغضهم المتوارثلالمانيا وخوفهم منها مرارة جديدة نشأت عن حكايات ما يأتي الالمان من ضروب القسوة في القرى الجنوبيةحيث لميرحم الغزاة جنساً ولاسناً ولا حمى احداً حامٍ منيدهم الحديدية . فان الحكايات الواردة من فيزه وبورت سيرسويل واردان وغيرها انما هي حكايات نهب واراقة دماء لا فرق في ذلك بين رجال الدين والاطفال

الرضع والشيوخ والامهات . فثارت النخوة في رؤوس الفلاحين من أهل البلجيك الوسطى لسماع ما يعاني اخوانهم من الشدائد والمحن وقاموا يسدون الطرق في اوجه الغزاة بمركباتهم واكوام الاحجـــار والاشواك ويترصدون اعداءهم من ورائها بغية الفتك بهم

وهب الملك البرت ملك البلجيك في مقدمة امته للدفاع عن بلاده يرى في كل مكان وهو يستحث قومه على العمل واعداد معـدات الدفاع على عجل ويعيش عيشة جنوده بلا ابهة ولا فخفخة . ولكن البلجيك تعلمت لسوء الحظ على حسابها أن الشجاعة السامية ونكران النفس والحمية لا تعد شيئاً مذكوراً بازاء العدد والكفاءة العسكرية والتدريب والتمرين . فان جيش الميدان فيها يبلغ ١٠٠ الف رجل ورجال الحاميات ٨٠ الفاً ولكنهم لم يدربوا تدريباً كافياً ولا دار في خلدهم انهم سيقاومون يوماً من الايام وحدهم جيوش المانيا الضخمة حتى نما فيهم ميل الى الاتكال في حماية انفسهم على حقوق المعاهدات لا على قوتهم الحربية . نعم انهم اشتروا مدافع الحصون بمبالغ كبيرة ولكن معمل كروب الالماني اجل تسليم تلك المدافع عمداً حتى بنوا حصونهم فاذا هي لا تصلح لتلك المدافع . ثم ان حصون لياج ونامور ليست على احد ث طراز وقد تركت مدة طويلة في ايدي نفر قليل من الجند . وكان «انفار» القرعة حتى سنة ١٩١٠ يدخلون في سلك الجيش اما تطوعاً واما اتباعاً لنظام يسمح لمعظم الذين لا يريدون الخدمة العسكرية بعدم الانتظام في سلكها . وكانت مدة التمرين لجميع الاسلحة سنة وثلاثة اشهر وهي ليست كافية كما لا يخفى

وفي اوائل السنة المذكورة سنت الحكومة قانوناً جديداً ادخلت به اصلاحات جمة . وكان جيش السلم حينئذ اقل من ثلث قوته الاسمية . ولكن القانون لم ينفذ . مثال ذلك ان الحرس المدني يؤخذ من الاحتياطي ويكون عدده ٥٠ الفاً

ويعين جزء كبير من الاحتياطي لحماية المواصلات وتؤخذ منه حاميات الحصون في زمن الحرب . ويدلك على مقدار استعداد هذا الحرس ان الحكومة لم تبدأ باعطائهم البنادق وبتمرينهم على استعمالها ألا بعد نشوب الحرب .

وقد اعتمد البلجيكيون في الاكثر على مساعدة الفرنسويين والانكليز . وجهد ما املوا هم عمله صد الغزاة او يأتي حلفاؤهم . وبعد شبوب نار الحرب بايام قلائل نشرت انباء رسمية فحواها ان مشاة الفرنسويين بلغوا غربي لياج . وفي ١٤ اغسطس أعلن في باريس ان الجنود الفرنسوية التي دخلت البلجيك بطريق شارلروا انضمت الى الجيش البلجيكي وان ثلاثة ضباط فرنسويين الحقوا باركان حرب الجيش البلجيكي وضابطين بلجيكيين الحقا بالجيش الفرنسوي ليمثلا جيشهما فيه . واعلن في الوقت عينه في بروكسل انه تم نقل الجنود الفرنسوية الى ارض البلجيك في ذلك اليوم . اما الجنود الفرنسوية التي قيل انها بلغت غربي لياج فاختفت او لم يسمع عنها شيء فيما بعد . واحتل الجيش الفرنسوي مركزاً حصيناً بين دينان ونامور ومركزاً آخر بين نيفال وجمبلو وفي جوار فافر

ولقائل ان يقول لِمَ لم يفعل الفرنسويين اكثر من هذا ؟ والحق يقال أنه يصعب الجواب على هذا السؤال . فان ضعف حركة الفرنسويين شمالاً في اوائل الحرب لا تزال لغزاً من الالغاز ولو سلمنا بانهم لم يقصدوا ارسال جيش كبير الى اواسط البلجيك لاسباب عسكرية . فانهم مكنوا الالمان بذلك من ضرب ضربتهم في الوقت الذي ارادوه ومن الفصل بينهم وبين البلجيكيين ومن حشد معظم جيشهم على حدود البلجيك . ولما بلغ الفرنسويون نامور كان القضاء قد حمّ وما الجدوى اذا وقع القضاء . وكان عددهم دون ما يكفي لانقاذها فلا ريب ان اركان حرب الجيش الفرنسوي غلطوا في حسابهم . وربما كان السبب الحقيقي في عدم انقاذ البلجيك عدم وصول الحملة الانكليزية حينئذ

فانها بلغت ساحة الحرب بعد الاجل المضروب بخمسة ايام ونصف

ولم يكن في عزم البلجيكيين التشبث بلكسمبرج البلجيكية جنوبي نهر الموز وشرقيه لان خطوطهم الدفاعية جنوباً كانت تستند في الاكثر الى لياج شرقاً ونامور غرباً ودينان جنوباً . وكان لهم ايضاً مركز منيع في هوي. واحتشد معظم الجيش البلجيكي وفي جملته الحامية التي تقهقرت من لياج حول لوفان ومنها امتد جنوباً بشرق في جهة الجيش الفرنسوي المرابط في جملبو . وقد استقر الرأي على الدفاع عن خط نهر الموز ما امكن الدفاع وعلى التقهقر الى نامور وانفرس عند الاقتضاء

اما اهل بلاد اردان ولكسمبرج البلجيكية فقرروا مقاومة العدو الغازي بما في وسعهم وكان كل فلاح منهم قد اعد سلاحاً له واخذ يتحين الفرص لاستخدامه وهذا كان شأن جميع اهل البلجيك حتى تخوم هولندا . فانهم يبغضون الالمان لانهم يعرفونهم ويعرفون ما هم عليه من صلف وكبرياء وكلف بالماديات

لم تشهر الحرب بين المانيا والبلجيك حتى صباح الاثنين الواقع في ٣ اغسطس ولكن الشهود العدل من اهل القرى التي على الحدود يقولون ان الالمان طفقوا يدخلون البلجيك في يوم الاحد الذي قبله جماعات صغيرة قصد الاستكشاف وكانوا كثيري التجمل والادب ينتحلون اعذاراً شتى لعملهم هذا كقول بعضهم انهم انما اجتازوا الحدود لينعلوا جيادهم . وقول آخرين انهم ضلوا الطريق. وقول غيرهم انهم يريدون الاستفهام عن بعض الشؤون

وفي ٣ اغسطس تكاثرت جموعهم فاخذوا يسألون مأوى لهم في الاديرة والمدارس . كتب بلجيكي من سكان قرى الحدود يقول . «وكان سؤالهم على منتهى الرقة والتلطف ولكننا لحظنا من منظرهم اننا اذا ابينا عليهم ما يسألون اخذوا اكثر منه » . وفي ٤ منه اماطوا لثام التنكر فتدفقت جنودهم على البلاد.

وجرت اول موقعة بين الفريقين في فيزه فهدم البلجيكيون جسراً في طريق لياج فكان عقابهم ان الالمان نهبوا مدينتهم هذه واستدل من هذا العمل على نية الغزاة وطرقهم

وكان الالمان يظنون عند دخول البلجيك انهم لا يلقون فيها مقاومة او يلقون مقاومة قليلة . ولكنهم دهشوا لما رأوا شدة مقت البلجيكيين لهم حيثما ساروا فلذلك اسرعوا فلبسوا لهذه الحالة لبوسها . ومعلوم ان من النقط الاساسية في العسكرية الالمانية انه لا يسمح للملكيين بالاشتراك في القتال لاي سبب من الاسباب . ففي حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ نفذ كبار الجيش البروسي هذه القاعدة بلا شفقة ولا رحمة ولم يعترفوا بالمتطوعين الفرنسويين جنوداً . فكانوا اذا امسكوا احدهم قتلوه رمياً بالرصاص. واذا آوت المتطوعين قرية دمروها وقتلوا بعض رجالها عقاباً لها . واذا مدّ ملكي يده بالاذى الى طرق المواصلات قتلوه ايضاً وخربوا القرى القريبة او فرضوا عليها غرامة . وقد ظهر من اعمال الالمان في هذه الحرب انهم ينوون تطبيق هذه القاعدة عليها ولكن بشدة وقسوة لم تعرفا في حروب المتمدنين

لا ينكر ان الحرب شنيعة خاطئة قاسية في احسن مظاهرها . وان القسوة والشدة وعدم الرحمة من ضروراتها . والقائد الذي يشفّ عن ضعف ويتردد في تضحية رجاله انما هو رجل جاهل لحرفته . ولكن جرت العادة في حروب الامم المتمدنة بتخفيف بعض فظائع الحروب . فكما ان المصارع المحافظ على آداب حرفته لا يلكم خصمه تحت منطقته كذلك الامم المتمدنة اتفقت على ان في الحرب اموراً لا يجوز عملها . فهي لا تنشر الامراض بطريقة من الطرق في صفوف اعدائها ولا تقتل الجرحى ولا الاسرى ولا غير المقاتلة من النساء والاولاد والشيوخ. وقد تعاهدت كتابة على بعض الامور في سير الحروب .

ولكن هناك اموراً غير مكتوبة ظن ان الضمير العام زعيم بانفاذها . فلما شاع وذاع ان الالمان ينكثون في اعمالهم كل عهد مسطور وغير مسطور لم يصدق الناس عامة هذه التهمة . اذ لا اسهل من اتهام الجنود المقاتلة بارتكاب الفظائع وكثيراً ما تجعل القسوة اللازمة عملاً همجياً لا يوصف . ولكن اشاعات الفظائع تواترت الى حدّ جعل تكذيبها مستحيلاً ثم اتضح ان المانيا لا تريد ان تسير في الحرب على قانون ولا ان تعرف فيها ضابطاً او رابطاً بل تريد التحرر من كل قيد يقيدها حتى قيود المروءة المتعارفة والسير فيها على اشنع مناظرها واشدها هولاً واستنكاراً

وكان اول من ذاق العذاب الالماني اهل مدينة فيزه . فانهم ساعدوا الجيش البلجيكي جهاراً على المقاومة في سبيل الدفاع عن وطنهم . فلم يصنعوا ذلك سراً ولا اطلقوا النار من اماكن مخبوءة ثم حاولوا الفرار كأنهم ابرياء لم يجنوا ذنباً بل انهم رأوا بيوتهم تهاجم ففزعوا الى سلاحهم ليذودوا عنها

من مدة مثلت في لندن رواية مشهورة تصور فيها المؤلف جيشاً المانياً يغزو انكلترا وختم روايته بفصل مفجع خلاصته ان الغزاة قتلوا بالرصاص رجلاً انكليزياً لانه اشترك في الدفاع عن وطنه وحارب الغزاة بسيفه وبندقيته . فعدّ الناس هذا الفصل مبالغاً فيه بحجة ان عمل الرجل طبيعي ولا شيء اقرب الى العقل من دفاع المرء عن وطنه فمن الجهل ان يظن ان الالمان يقتلونه حسبان ان عمله هذا جريمة لا تغتفر . ولكن ما انكره الناس على الجيش الالماني في الخيال فعله هذا الجيش حقيقة في البلجيك

وحيث سار الالمان في البلجيك الجنوبية حولوا المزارع والقرى الآهلة صحراء قاحلة . قال هنريك بندر مراسل «برلنر تاجيلات» الحربي وكان قد زار الاماكن التي يحتلها الجيش الالماني زيارة رسمية بصحبة الملحقين العسكريين

الاجانب :

«زرت قريتي باتيس وهرفه فرأيت في هرفه ١٩ بيتاً قائماً من خمس مئة بيت والاشلاء مبعثرة في كل مكان ورائحة النار تتصاعد من كل ناحية . وكذلك رأيت الكنيسة عرمة خراب . وقد اعفي بعض المنازل وترك قائماً لان النار لم تطلق منه على الجنود . والحقيقة التي لا ريب فيها ان الجنود لم تخرب البيوت جملة بلا تمييز بين منزل ومنزل لاننا كنا نرى بين صفوف طويلة من المنازل المنهدمة منازل لم تمس بسوء والاولاد يلعبون في جنائنها . ورأينا الطرق محفرة بين كل حفرة واخرى نحو ٤٠ متراً وقداقيمت الاستحكامات فيها .وبعد احتلال الالمان للبلاد شرعوا في اعمال التصليح والترميم وفي استمالة القوم اليهم فكنا نرى رجال الرديف الالماني جالسين مع العائلات البلجيكية عند ابواب المنازل في القرى كأن السلام سائد في البلاد »

هذا دليل على ان الالمان نفذوا في هذه الحرب القواعد التي نفذوها في حرب ١٨٧٠ . وقد ذمها حينئذ بعض كبار الخبيرين منهم منل جفكن وبلانتشلي وقالا انها قواعد جائرة لا يمكن الدفاع عنها . وزادها جوراً هذه المرة طريقة تنفيذ الالمان لها . فقد كانت قرى برمتها تحرق وساكنوها يقتلون لاخفاء جريمة الضباط . وكان الالمان اذا احتلوا قرية او مدينه يقبضون على الشيخ او المحافظ والقسيس ومعلم المدرسه والطبيب وغيرهم من وجوهها ويبقونهم رهائن على حسن سلوك اهل المدينه او القريه . ولم يكف الالمان ان يبقى اهل القرى على الحياد بل اشترطوا عليهم ان لا تهاجم الجنود البلجيكية جنودهم . وكثيراً ما قتل الرهائن لا لذنب جنوه هم او اهل قراهم بل لان فرسان البلجيك اطلقوا النار على الالمان . وفي روايه ان الالمان كانوا يقررون قتل نصف الرهائن فيخبرون هؤلاء بقراهم ويتركونهم يختارون من يقتل ومن يستحى منهم



الجنرال فون اميخ

الذي كان يقود الجيوش الالمانية في البلجيك

يبلغ الجنرال فون اميخ السادسة والستين من عمره فانه ولد في ٤ اغسطس سنة ١٨٤٨ فيكون قد قضى عيد ميلاده وهو يحاصر حصون لياج في البلجيك

الجنرال ليمان

قائد حصون لياج

يبلغ الجنرال ليمان الثامنة والستين من عمره وهو مشهور بمعارفه الرياضية والعلمية وقد كان منذ زمن غير بعيد استاذا للعلوم الرياضية في مدرسة حربية في البلجيك

وليس هذا فقط بل ان بعض الجنود البعيدين عن عيون ضباطهم خرجوا عن كلُ قيد واطلقوا ايديهم في السلب والقتل على ما شاؤوا . قال مراسل أحدى الصحف:اخبرني حمال من حمالي سكة حديد البلجيك ان في منزله عصا ديناميت وانه يفضل نسف البيت وهو فيه وقرينته واولاده حوله على السماح للغزاة بدخوله . وعندي انه ليس مغالياً فيما قال»

وقد اطلع بعضهم على يوميه كتبتها بنت انكليزية صغيرة كانت في مدرسة دير فورون قرب فيزه لما دخل الالمان البلجيك ومنها يتبين سلوك الجنود . ففد رأت الجنود البروسيه عند دخولهم الدير وامتدحتهم في اوائل يوميتها فقالت : انهم على غاية من الرقةوالاحتشاموحسن المنظر . وادنى جندي فيهم مجهزبجميع ما يلزمه و كل شيء معه جديد . والحق يقال انهم بديعون جداً و كثيرو الكلام». على انها كتبت فيما بعد تقول :

اغسطس ٦ ـ قتل قسيس مقيم بالقرب من هذا الدير . ان الالمان طيبون جداً اذا اعطيتهم ما يريدون . فاذا منعته عنهم اخرخوا المسدّس حالاً . وقد كانت الراهبة تريز العجوز واقفة بباب الدير ذات يوم فطلب منها جندي اناء لاغلاء الماء فرفضت فكاد يقتلها

في ٧ منه ـ سمعنا صوتاً هائلاً قالوا انه صوت نسف حصن . وقد مرت فوقنا امس طيارة المانية والجنود معسكرون في الغابات وعندنا سبعة من الجرحى هنا . اما الباقون فاخذوا الى اكس لاشابل

في ٨ منه ـ ذهبنا للصلاة في القرية فاخبرنا رجل بان الالمان احرقوا مزرعتين كبيرتين في قريه فارساج . ووصل رجل وامرأتان من لياج فقالوا ان اهلها سكنوا الكهوف في اليومين الماضيين ورأوا جثث القتلى تملأ وجه الحقول . وفد سمعنا ان النساء والاولاد يتسنقون . وقد غاظ الالمان كونهم فقدوا عدداً

كبيراً من رجالهم قبل رؤيتهم الفرنسويين . وليلة امس مرّ جندي امام الدير فرفعت الاخت ماريا جانب الستار فتناول مسدسه وتهددها . وقد رأينابعض الجنود سكارى

في ١٠ منه ـ سمعنا صوتاً مخيفاً عند باب الدير واذا باربعة ضباط من الالمان قد نزلوا من اوتوموبيلهم ومسدساتهم في ايديهم وطلبوا خمراً . فذعرنا اشد الذعر . ثم دخل ضابط يتبعه جندي وسألنا عن غرفة القسيس فلم يدله احد عليها فتوعدنا بالقتل جميعاً . وحينئذ مشت راهبة امامه الى بيت القسيس وكان يحمل بيده مسدساً مصوباً الى ظهرها . وسألت الراهبات الضباط هل ينوون ترك الدير وشأنه . فضحكوا وقالوا انهم سيحولونه مدفن اموات . ثم اخذوا الجرحى وحالما ذهبوا ايقظتنا الراهبات فخرجنا من الدير ونحن نمشي في طرق مجهولة»

وحكايات الفظائع التي ارتكبها بعض الجنود الالمانية في البلجيك اكثر من ان تحصى . وقد قال الالمان في الدفاع عن انفسهم ان رجال حكومة البلجيك اثاروا احقاد الجمهور على الالمان بنشر الاراجيف والاشاعات الكاذبة عنهم . وكانوا يظنون انهم يستطيعون طرد الالمان من البلجيك في يومين بمساعدة الفرنسويين . وقالوا ايضاً ان الفلاحين كثيراً ما كانوا يجهزون على جرحى الجنود بعد ما يمثلون بهم شر تمثيل ويعذبونهم اشد عذاب . وليس بمستغرب على قوم تحرق بيوتهم ويقتل اولادهم ويتركون وهم لا يملكون شروى نقير ان يقدم بعضهم على ارتكاب بعض الجرائم انتقاماً لانفسهم ما دام الانسان انساناً وما دامت الطبيعة البشرية على ما نعلم . ولكن لا ريب ان الالمان ارتكبوا الفظائع في الابرياء والذين لم يقترفوا اثماً ولا قاوموا علانية ولا سراً

***

وقف على حدود البلجيك يتحفزون للوثوب عليها ١٣ فيلقاً المانياً من خيرة

الجنود الالمانية عدتهم ٦٥٠ الفاً ومعهم ٢٢٠٠ مدفع من مدافع الميدان والمدافع الضخمة وجهاز كامل من مدافع الآلات . فاوقفتهم لياج عن الزحف بضعة ايام لان حصونها متحكمة بالدروب الثلاثة المؤدية اليها ومشرفة على سكة الحديد ونهر الموز . وبينا كان جزء من الجيش يحصر لياج عبرت فرقتان من الخيالة عدد رجالهما ١٠ آلاف فارس نهر الموز عند الحدود الهولندية وتقدمت في البلاد . ولم يكن في نية اركان حرب الجيش الالماني استخدام الفيالق كلها في مقاتلة الجيش البلجيكي اذ جيش الميدان البلجيكي لم يزد على ١٠٠ الف وربما كان اقلّ من ذلك بكثير . اما الحرس المدني وما اشبه فلا تعد بين جيش الميدان لان امثال هذه الجنود كانت تجرّد من سلاحها قبل وصول الالمان

وقد فاز فرسان الالمان برد القوات البلجيكية الى الخط الممتد بين مدن ديست وهالن وترلمون وجودوان فعزلوا بذلك لياج عما حولها وتألف منهم حجاب كثيف ستر حركات الجيوش الالمانية وما تدبر من التدابير تمام الستر حتى ان اركان حرب الجيش البلجيكي وارباب الامر في لندن كانوا يرتابون فيما اذا كان الالمان قد عبروا نهر الموز بقوة كبيرة . وبقوا على ارتيابهم هذا الى اليوم السابق للذي ضرب الالمان فيه ضربة مزقت الجيش البلجيكي. كتب ناقد عسكري انكليزي من اعظم النقاد خبرة واكثرهم اطلاعاً في ١٨ اغسطس يقول : لا يزال موقف الحلفاء على نهر الموز ملائماً لهم . فان الالمان لم يجمعوا جموعاً كثيفة شمالي الموز على ما نعلم . وليس هناك علامة او كلمة تدل على زحف الالمان عليه» . وقد كان هذا الكاتب يعبر حينئذ عن رأي المطلعين على دخائل الامور في صفّ الحلفاء

وقد كان عند فرسان الالمان يوم نعيم ويوم بؤس على ما يلوح لنا . فاذا نظر اليهم فلاّح بلجيكي نظرة لم تعجبهم في يوم نعيمهم يعاقبونه بما يعاقب

صبية المدارس اذ يأمرونه برفع يديه الى فوق نصف ساعة او بالركوع امامهم وطلب الصفح والغفران او بالتمرغ في التراب مبالغة في الهوان . واذا كان ذلك في يوم بؤسهم عذبوهم عذاباً ما عذبه احد في العالمين

وفي التاسع من اغسطس مر بلوك من فرسان الهوسار الالمان على اطلال فيزه واوغلوا حتى دخلوا بلدة تونجر فانزلوا الراية البلجيكية عن دار البلدية واستولوا على ما في صندوقها من المال واخذوا عشرة آلاف فرنك من البوستة. وغزا الرمّاحة البروسيون المسمون «اوهلان» بلدة هاسيلت فاخذوا نحو مليوني فرنك من اموال بنك البلجيك الاهلي

وكانت حكومة البلجيك قد اصدرت امراً الى الملكيين من رعيتها بان لا يشتركوا في القتال بل ان يتركوا الحرب للجنود . وجرت في يومي الثلاثاء والاربعاء (١١ و١٢ اغسطس) موقعة تذكر في ترلمون . فان الفي خيال من الالمان زحفوا عليها يوم الثلاثاء فهاجمتهم اورطة من رمّاحة البلجيك ولكن مدافع الالمان دفعت الرماحة الى وراء . وفي اليوم التالي حاول الالمان الهجوم فصدتهم نار المشاة الحامية . وفي الوقت عينه هجمت اورطة من دراغون الالمان على الجنود البلجيكية المرابطة في ايناف فارتدت بعد قتال دام ثلاث ساعات وقد قتل منها ١٥٣ رجلاً واسر ١٠٢

وحدث معركة اخرى في هالن يومي ١٢ و١٣ اغسطس . فان جيشاً من فرسان الالمان ومدفعينهم ومشاتهم يقدر عدده بعشرة آلاف رجل حاول الدوران حول ترلموز والاحداق بالجيش البلجيكي الذي فيها فالتقاهم جيش بلجيكي مثلهم عدداً وجرى بين الفريقين قتال دام من ظهر ١٢ اغسطس الى المساء ففتكت مدافع البلجيكيين فتكاً ذريعاً باعدائهم وحاول فرسان الالمان اخذ الاستحكامات عنوة فصدتهم نيران المشاة.وكانت طبيعة الارض غير ملائمة



رجال المدفعية الالمانية يرقبون العدو من اعلى سلالم منصوبة لهذا الغرض ويسترهم ستر من عروق الاشجار واوراقها



الجنرال بارون واهس

القائد العام للجيش البلجيكي

لهجوم فرسان الالمان ولكنهم ابدوا بسالة خارقة العادة بشهادة اعدائهم اذ حملوا في مكان على خط من خطوط المدافع البلجيكية وكرّوا عليه رغم ما نالهم من التقتيل ولكن لم يبلغه احدمنهم وانتهت المعركة بفوز البلجيكيين . وقد ابدى الالمان فيها الصفات التي مكنتهم من الايغال في ارض البلجيك وفرنسا في الايام التي تلت . قال ضابط بلجيكي في آخر القتال : لا اعلم هل أبدى الالمان شجاعة فائقة في المعارك السابقة لمعركة هالن ولكن الذي اعلم انهم ابدوا تلك الشجاعة في هذه المعركة »

وعلى اثر هذا النصر اخذ البلجيكيون يثقون بانفسهم بعد ما يئسوا من مصير الحرب وظنوا انهم يستطيعون الثبات في وجه الجيش الالماني . ولو دروا طرق اركان حرب هذا الجيش لعلموا ان خطته المقررة في كل حرب هي اللعب بالاعداء مدة استعداده لحركة عظيمة كما يلعب الهرّ بالفارة. قال الجنرال فون برناردي الكاتب الالماني المشهور ان خطة الجيش الالماني في الحرب هي ان يتظاهر بضعف المقاومة في اثناء الحشد ويرسل حجاباً كثيفاً من الفرسان امامه لالهاء الاعداء وجسّ نبضهم وسبر غورهم.فاذا تمكن من معرفة قوتهم وكشف الحجاب عن خططهم نزل نزول الصاعقة في الفرصة السانحة

ولم يتنازل الالمان في بدء الحرب الى الاستعداد استعداداً يذكر لقتال البلجيكيين ظناً منهم ان قوة مثل التي وجهوها الى هالن تكفي لجرف كلّ ما هو امامها . فلما ادركوا خطأهم انقلبوا الى خطتهم المقررة وهي الوقوف فالتحفز فالضرب . اما البلجيكيون فاستهانوا بقوة.اعدائهم بعض الاستهانة بعد نصف الشهر الاول من الحرب وقالوا ان الالمان قليلو الاهبة يعوزهم الزاد والحمية وقد سيقوا الى الحرب مكرهين . قال احد ابطالهم : اخرج لاسر الالمان لا ببندقية بل بكسرة من الخبز بسطت عليها الزبدة . ثم امدّ يدي بها فاذا

رآها فرسان الالمان وقد عضهم الجوع بنابه هجموا عليها واالقوا سلاحهم مسلّمين».
لا ينكر ان بعض فرسان الالمان الذي ارسلوا في طلائع الجيش على عجل كانت جرايتهم دون الكفاف ولكن لم يمضِ الاّ القليل حتى علمت البلجيك ان الزاد والمؤونة عند الجيش الالماني موفوران

وفي السبت الخامس عشر من اغسطس زحف الجيش الالماني زحفته المعدة لضرب الضربة الحقيقية . فان حصون لياج امست لا تقوى على المقاومة بعد الذي لقيت. وكان الالمان قد استولوا بعد قتال شديد على بلدة هوي الواقعة شرقي نامور وفيها جسر كبير على الموز ففتح بذلك امامهم طريق واسع الى قلب البلجيك . وسار خلف الفرسان اربعة فيالق واتجهت الطيارات شمالا فلم يسمع فيما بعد الاّ القليل عن الطيارات البلجيكية وكانت حتى الان قد اتت اعمالاً تذكر . وزحف جيش الماني غرباً نحو دينان . وزحف جيش آخر وراء فرقة الفرسان الشمالية

وفي ١٦ اغسطس هاجم الالمان الموقع الذي التقى فيه الجيش الفرنسوي والجيش البلجيكي وهو الى الجنوب الشرقي من فافر . وكان جيشهم مصطفاً على شكل نصف دائرة اذ كان غرضهم الالتفاف على ميمنة الجيش البلجيكي فصدّهم هذا الجيش ولكن الى حين . وفي ١٧ اغسطس زحف الالمان على طول الخط الممتد من فافر الى الحدود الهولندية بسرعة عظيمة وباندفاع لا يقاوم . وفي اليوم التالي اطلقوا مدافعهم بشدة على ترلمون وكانت طياراتهم تستطلع مراكز اعدائهم فارشدتهم اليها بالدقة فاصلتها مدافعهم ناراً حامية فتكت بهم فتكاً ذريعاً وزعزعت مواقف الجيش البلجيكي وحينئذ هجم فرسان الالمان بسيوفهم ورماحهم وبنادقهم على صفوف الجيش فاخترقوها وتقدموا الى القرى التي وراءه . وكان اهلها في بيوتهم آمنين او في حقولهم يعملون مطمئنين واثقين

بقوة جنودهم وقدرتها على حمايتهم . واذا بفرسان الالمان قد هبطت عليهم هبوط الشهاب الثاقب واخذتهم من حيث لا يدرون واعملت فيهم السلاح لا ترعى حرمة سنّ ولا جنس . وطوال الاعمار منهم نجوا بانفسهم الى قطرين واقفين على بعد خمسة اميال من المدينة فركبوهما الى بروكسل حيث قصوا انباء ما نالهم من النهب والسلب والقتل . كتب مراسل جريدة في بروكسل يقول : «ما انس لا أنس منظر امرأة قروية رأيتها واقفة في ميدان المحطة يحفّ بها خمسة اولاد وهم يبكون بكاء يفتت الكبد . ولما قيل لها في ذلك قالت : قتلوا رجلي امام عيني وداسوا اثنين من اولادي بالاقدام فاماتوهما . وانا امّ تسعة اولاد فلا ادري ما اصاب الباقين»

وفي ١٩ اغسطس صمد الجيش البلجيكي للقاء الالمان في بلدة لوفان وكان قد اختار مواقع عزيزة فامّل الناس انه يقاوم مقاومة شديدة . ولكن لم يكد القتال يبدأ حتى تقهقر فجأة امام هجوم الالمان على طول الخط . وكان الالمان قد جعلوا يبدون المزايا التي حملتهم في مبدأ الحرب الى امام بسرعة السيل وهي التهور في الزحف وعدم المبالاة بالحياة وصب النيران الحامية من مدافعهم على النقط المركزية ووجود مدافع من مدافع الآلات لا يحصى عديدها تنزل الوبال باعدائهم حيث شاؤوا التقدم . وطيارات تحوم فوقهم وتهديهم الى مواقع البلجيكيين . وصف المسيو رايمون كولسون ما جرى لفصيلة من رمّاحة البلجيكيين قال :

«خرج ست مئة من الرماحة البلجيكيين للاستكشاف . وفيما كانت جيادهم تسير بهم الخبب في طريق طويلة رأوا اعداءهم بغتة فحملوا عليهم . وفي اثناء كرّتهم اقبلت ميسرتهم على مطمئن عميق واسع امامها فشوش نظامها والقى الاختلاط والارتباك بين صفوفها ثم سمع قصف مدافع المتراليوز واتضح ان

الفرسان المساكين كانوا كأنهم يسعون الى حتفهم بظلفهم لان الالمان كانوا قد نقلوا الى ذلك المطمئن عدة مدافع مكسيم اصلتهم نارها فسقط كثير منهم عن ظهور خيلهم وهبت الخيل تعدو بلا فرسانها . وترجّل عدد كبير منهم وحاولوا مقابلة نار المدافع ببنادقهم . وما كادوا يفعلون حتى استهدفوا لنار مشاة الالمان الكامنين في غابة قريبة . فنكصوا على اعقابهم ـ بقية قليلة من فصيلة كثيرة»

وكان اندفاع الجيش الالماني في زحفه شديداً كالسيل الجارف فخسر البلجيكيون خسارة كبيرة في محاولة صده واوشكت ثلاث اورط منهم ان تفنى عن اخرها. وقد انكسروا وقتياً فارتدوا في جهة حصون انفرس للاحتماء بها وتركوا بروكسل العاصمة تحت رحمة العدو"

الفصل الثاني عشر

خروج الاسطول الانكليزي الى عرض البحر

استعداد الاسطول — حركتهُ الساكنة في جهة نقطة الخطر — تركيب الاساطيل المعادية له — خروج ايطاليا عن مساعدة المانيا — الموقف في بحر الروم — القواعد البحرية الانكليزية — الاسطول الرومي — عجز انكلترا عن العمل في البحر البلطيك — مذهبان في البحرية الانكليزية — السفن التي كانت تبنى في المانيا وانكلترا عند نشوب الحرب — التعبئة — الحرب

بلغت مطامع المانيا البحرية حداً رهنت عنده كل شيء لتضرب انكلترا في ساعة تكون فيها غير متأهبة للعمل . فعند انكلترا في المياه الانكليزية نحو ١٥٠ سفينة حربية من جميع الاصناف ولكن عدداً كبيراً من هذه السفن لا يكون بطبيعة الحال مستعداً للحرب على الدوام لاسباب شتى . فان بعضها يكون في

الحياض المعدة لترميم السفن وربما كان مجرداً من نصف مدافعه ليسهل بذلك ترميمه وبعضها يكون خالياً من الضباط والنوتية لذهابهم بالاجازة . والبعض الاخر يكون موزعاً على عشرين ثغراً او ثلاثين حول سواحل انكلترا . وقد عولت المانيا على هذه الامور الثلاثه وعلى انقسام الانكليز في المسألة الارلندية

وكان ديوان الاميرالية قد قرر قبل نشوب الحرب بنصف سنة ان كل سفينة حربية في المياه الانكليزية يجب ان تكون في شهر يوليو تامة الاهبة والعدة كأنها على قدم الحرب . فان الاساطيل الانكليزية المرابطة في انكلترا تتألف في الحالات العادية من الاسطول الاول وهذا يكون دائماً على استعداد للحرب. ومن الاسطول الثاني ونصف رجاله يكونون فيه عادة ويمكن اعداده للحرب في اربع وعشرين ساعة بأخذ الرجال اللازمين له من محلات التمرين في بعض الثغور. ومن الاسطول الثالث وهو يعد للحرب بدعوة الاحتياطي البحري

وفي مارس سنة ١٩١٤ أعلن وزير البحرية قرار ديوان الاميرالية المتقدم ذكره وهو انه يجب على كل سفينة حربية في المياه الانكليزية ان تكون على اهبة الحرب بين ١٥ و٢٥ يوليو وان جميع الاحتياطي وعدده نحو ٣٠ الفاً سيدعى ويبقى محشوداً مدة ١١ يوماً . وقبلما جاء موعد صرف الاحتياطي كانت سحب الحرب قد تلبدت في الافق فانذرت السفن كلها بامكان حدوث تعبئة عامة في كل ساعة فاذا صدر الامر بها وجب على كل رجل ان يلتحق بسفينته . من اقوال الانكليز «ان هناك ملاكاً صغيراً جالساً على ذورة يهيمن منها على جاك المسكين ويحرسه » وجاك هذا هو لقب البحرية الانكليزية . فان كان ذلك فقد قام الملك الحارس بمهمته خير قيام . لانه لما اضطرت انكلترا الى دخول الحرب بسبب سلوك المانيا مع البلجيك كانت الاساطيل الانكليزية مستعـدة للحرب تمام الاستعداد فحشدت في ثغر بورتلند تحت امرة قائدها العام من مدرعات

وطرادات ونسافات.وفي٢٩ يوليوخرجت من مراسيها تصطف للقتال والموسيقات نصدح والنوتية تهتف . ومن هذا التاريخ لم تنشر صحيفة من الصحف حرفاً واحداً عن مكان الاساطيل . فانها توجهت الى المحطات التي اعدت لها خلف استار الخفاء بعدما تدربت عشر سنوات على القتال توقعاً لهجوم المانيا

ومن حسن حظ الانكليز في هذه الحرب ان ايطاليا تخلت عن شريكتيها في المحالفة الثلاثية لانهما لم تشاوراها قبل اعلان المانيا للحرب . والظاهر ان وزارة الخارجية الالمانية حسبت ان ايطاليا يمكن حملها بالوعيد والتهديد على مساعدة حليفتيها كرهاً ان لم تساعدهما طوعاً فجاء حسابها مخالفاً للواقع وجاء تخلي ايطاليا باسطولها عن حليفتيها ضربةشديدة عليهما لان لها في بحر الروم اسطولاً ذا بأس كان يمكنه ترجيح كفة المانيا والنمسا في ذلك البحر بالانضمام اليهما او حمل انكلترا على ارسال امداد كبيرة من البحر الشمالي الى بحر الروم . واسطول ايطاليا مؤلف من اربع مدرعات من طراز دريدنوط وثماني مدرعات اخرى اقدم عهداً منها ما عدا السفن الصغرى المختلفة الطراز . فاذا جهزت بالرجال والعدد اللازمة واحسنت قيادتها كانت خصماً عنيداً لا يستهان بقوته ولكن ايطاليا لزمت الحياد التام بالرغم من تهديد المانيا اياها

وهذا الحياد ترك الاسطول النمسوي في بحر الروم بثلاث مدرعات من طرز دريدنوط وثلاث اضعف منها وعدد من البوادج القديمة يؤيده اسطول الماني صغير لكنه قوي . وهو مؤلف من طراد سريع كبير اسمه جوبن واخر صغير اسمه برسلو وكلاهما جديد ومن احسن الطرادات التي من نوعهما . على ان الاسطول الفرنسوي في بحر الروم كان كافياً لمقاومة اسطولي النمسا والمانيا ولا سيما ان الاسطول الانكليزي كان يساعده بثلاثة طرادات قوية لكنها دون الطراد جوبن حجماً وسرعة وسلاحاً . واربعة طرادات اقدم منها . واربعة

طرادات خفيفة. وست عشرة نسافة. وست عشرة مدمرة (سفينة لتحطيم التوربيد) وست غواصات

وللاسطولين الفرنسوي والانكليزي عدة قواعد بحرية بديعة الموقع . فعند مدخل بحر الروم غرباً حصن جبل طارق وفيه احواض لسفن الدريدنوط ودار للترميم . وعلى مقربة من مدخل البحر الادرياتيك حيث مركز الاسطول النمسوي جزيرة مالطه وثغر بيزرت الفرنسوي (في تونس) وفيه حوض يسع اكبر دريدنوط عند انكلترا وفرنسا . ومن العوامل التي اثرت في الاسطول الالماني وعرقلت حركاته في مقاتلة الاسطول الانكليزي وجود اسطول لروسيا في البحر البلطيك . نعم ان هذا الاسطول ليس قوياً لانه مؤلف من اربع مدرعات دون الدريدنوط وستة طرادات مدرعة ونحو مئة سفينة صغيرة من النسافات والمدمرات والغواصات فهو لا يجسر على مقاتلة الاسطول الالماني ولكن اذا حوّل هذا الاسطول قوته كلها للقاء الاسطول الانكليزي وتحطم في اثناء القتال اصبح زمام البلطيك في يد الاسطول الروسي ينزل ما شاء من الجنود الروسية الى حيث شاء من السواحل الالمانية ويساعد الجيوش ايما مساعدة

فوجود هذا الاسطول اضطر اميرالية الاسطول الالماني الى المبالغة في الحذر والاحتراس. ثم انهم انتدبوا عدداً من نسّافاتهم وغواصاتهم لمراقبة الاسطول الروسي ومنعه شن الغارات على السواحل الالمانية فضعف بذلك اسطول المانيا في البحر الشمالي . فلهذه الاسباب كان للاسطول الروسي تأثير في الاعمال البحرية لا يصحّ الاغضاء عنه ولا سيما ان روسيا تبني اربع مدرعات من طراز دريدنوط لا مثيل لها في الاسطول الالماني وسيتم بناؤها قريباً

اما الاسطول الانكليزي فلا يستطيع دخول البلطيك لثلاثة اسباب. الاول ان مدخلين من مداخله الثلاثة هما في يد الدنمرك وقد بثت الالغام فيهما .

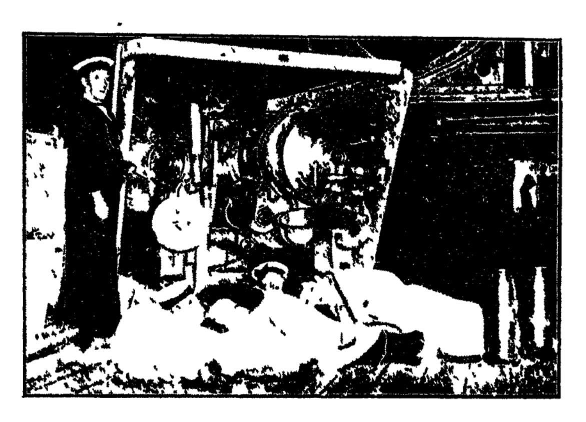
والمدخل الثالث وهو ترعة كيال في يد المانيا

والسبب الثاني ان طرادات اسطول الالماني ونسافاته تستطيع ان تهاجم سفن الفحم والزيت والمؤونة لكل اسطول يريد عمل اعمال حربية في البلطيك ولا سيما ان القواعد البحرية الالمانية كثيرة في هذا البحر

والثالث ان الاسطول الانكليزي ليس قوياً الى حد ان يوزع سفنه على البحرين البحر البلطيك والبحر الشمالي ويبقى كل قسم منهما اقوى من الاسطول الالماني. ولو قسم قسمين كل اضعف من الاسطول الالماني لهاجم هذا الاسطول كلاً منهما على حدة ولقهره ما دام قهره في الامكان .. ولقد قال الاميرال مايهان ان خير خطة يتبعها الاسطول الانكليزي هي ان يبقي زمام البحر الشمالي في يده ويترك البلطيك وشأنه الى ان تزداد قوته بما يضاف اليها من السفن التي سيتم بناؤها قريباً

وفي آخر اسبوع من يوليو ضاعفت الترسانات الانكليزية همتها لاتمام السفن التي قاربت التمام وضمها الى الاسطول باسرع ما يمكن. وفى اليوم التالي لاعلان الحرب نشر ديوان الامرالية نبأ فحواه انه وضع يده على اربع سفن كانت بنى في انكلترا منهما بارجتان للحكومة العثمانية اسم الواحدة السلطان عثمان الاول فجعل اسمها اجنكور والثانية رشادية فجعل اسمها ايرن . والاخريان نسافتان لحكومة شيلي

اما البارجة اجنكور فحمولها ٢٧٥٠٠ طن وسرعتها ٢٣ ميلاً في الساعة. وكانت قد بنيت في بدء امرها لحساب حكومة البرازيل ولما اوشكت ان تنتهي باعتها هذه لتركيا بسبب ما نالها من الازمة المالية فاستعجلت الحكومة العثمانية المصنع الانكليزي في بنائها لتستخدمها في الحرب التي قيل ان الاتحاديين كانوا يضمرونها ضد اليونان. وكانت اكبر بارجة من طراز دريدنوط وفيها ١٤ مدفعاً قطر فوهة الواحد ١٢



بحارة في احدى البوارج الانكليزية في البحر الشمالي نائمون قرب مدافعهم ليتمكنوا من اطلاقها بلا ابطاء عند اول امر يصدر اليهم



وقاد يضع الوقود في مواقد بارجة انكليزية في البحر الشمالي

بوصة.و٢٠ مدفعاً قطر فوهة الواحد ٦ بوصات.ولم تحمل مدرعة قبلها سوى١٣ مدفعاً ضخماً . واحدث سفن الدريدنوط الانكليزية التي لم يتم بناؤها حتى الان تحمل كل منها ١٠ مدافع فقط قطر فوهة الواحد ١٣ بوصة ونصف

ولقد كان في البحرية الانكليزية فريقان من عهد بعيد.فريق يرى انه خير للاساطيل الانكليزية ان يكون فيها عدد كبير من المدافع المتوسطة الحجم تمطر العدو وابلاً من المقذوفات . وفريق يرى ضد هذا الرأي ـ يرى تقديم الصفة على العدد والكيف على الكمّ ويفضّل تحطيم مدافع العدو بقنابل قليلة من قنابل المدافع الضخمة . فالاجنكور ببطرياتها العديدة تطابق الرأي الاول وبوارج الدريدنوط التي لم يكمل بناؤها حتى الان تطابق الرأي الثاني لان كلاً منها يحمل ثمانية مدافع من عيار ١٥ بوصة . وربما كانت البارجة ايرن اشبه البوارج بها . فان حمولتها ٢٣ الف طن وسرعتها ٢١ ميلاً في الساعة وفيها عشرة مدافع ضخمة عيار انواحد ١٣ بوصة ونصف . وهي منصوبة زوجين زوجين في ابراج مصفحة بالفولاذ.والمدفع منها يقذف قنبلة ثقلها ١٤٠٠رطل وهي محشوة نوعاً من شر انواع الديناميت اسمه «ليديت» ويمكن حشو المدفع واطلاقه مرتين في الدقيقة ولكن ظهر في ساحات التمرين انه لا يمكن حشو المدفع واطلاقه سوى مرة في الدقيقة اذا كانت الغاية اصابة المرمي اذ لا بدّ لمطلقه من الانتظار ريثما يرى مكان سقوط القنبلة قبل اطلاق التالية وينقشع الدخان الذي صحب اطلاقها وتخف الحرارة

وكانت اليونان قد اوصت بعمل طراد مدرّع كبير في المانيا فشرعوا يبنونه في صيف سنة ١٩٢١ لحسابها ثم لما ظهر ان الحرب واقعة بين المانيا وروسيا وفرنسا تعجلوا في بنائه . ولا يكاد يكون هناك ادنى ريب ان المانيا تضيفه الى اسطولها. والرأي ان بناءه يتم في هذا الخريف اذا بذل المجهود الكافي في هذا السبيل . وحمولة هذا الطراد ١٩ الف طن وسرعته ٢٣ ميلاً . وسيحمل ٨ مدافع من عيار

١٤ بوصة و١٢ من عيار ٦ بوصات

ولما نشبت الحرب كانت المانيا تبني لحسابها ثلاث بوارج محمول الواحدة ٢٥ الف طن وفيها ١٠ مدافع من عيار ١٢ بوصة ولكن هذه المدافع يمكن استبدال اقوى منها بها . وكانت تبني ايضاً طراداً محموله ٢٨ الف طن وسرعته ٣٠ ميلاً وفيه ٨ مدافع من عيار ١٢ بوصة ومدافع اخرى اصغر منها

اما انكلترا فكانت تبني بارجتين من الطراز المسمى «سوبر دريدنوط» وهو اقوى من طراز دريدنوط المعروف . وفي كل منهما ١٠ مدافع من عيار ١٣ بوصة ونصف . و١٦ من عيار ٦ . وكانت تبني طراداً سعته ٢٧٥٠٠ طن وسرعته ٣٠ ميلاً وفيه ٨ مدافع من عيار ١٣ بوصة ونصف و١٢ من عيار ٦ . وكان يؤمل اكمالها في ربيع سنة ١٩١٤ ولكنها تأخرت ولم يكن احدها مستعداً لنزول ميدان الحرب لما نشبت الحرب . اما النسافتان اللتان اشترتهما انكلترا من حكومة شيلي فصغيرتان حمولة كل منهما ٨٠٠ طن وسرعتها ٣٢ ميلاً وفيها ٨ مدافع. ويقال ان المانيا كانت تبني عدة نسافات وغواصات قبل الحرب لحساب دول مختلفة وبينها طرادان سريعان صغيران لروسيا حمولة الواحد ٤٥٠٠ طن فلما اعلنت الحرب ابقت هذه السفن لها

الفصل الثالث عشر

كيف زرعت المانيا الالغام

تاريخ الالغام البحرية — انواعها — استخدامها في حرب روسيا واليابان — الالغام ومؤتمر لاهاي — نزع الالغام — نكبة الطراد امفيون

ما فتئت المانيا من سنين خلت تعلل نفسها بحرب تشهرها على انكلترا بحراً ويكون اظهر ما فيها مفاجأة الاساطيل الانكليزية باسطول من النسافات على

مثال ما فعل اليابان بالاسطول الروسي في بورت ارثر . ولكن ما ابدت الحكومة الالمانية من سوء الدربة في ادارة المفاوضات السياسية واعتقادها على ما يظهر بان الضعف بلغ من انكلترا حداً يحملها على التخلي عن صديقاتها في ساعة الشدة منعاً لتكدر السلام ـ هذان السببان انذرا انكلترا انذاراً كافياً باقتراب الازمة . ولما حانت كان الاسطول الانكليزي مستعداً لجميع الطوارىء . وكانت المانيا قد بنت حسابها كله على مفاجأة انكلترا واخذها غيلة . فلما فشلت في ذلك ورأت انها غير مفلحة في مهاجمة البوارج الانكليزية بنسافاتها عمدت الى بث الالغام في عرض البحر الشمالي على ما في هذه الطريقة من مخالفة مبادىء المدنية الحديثة

اما تاريخ الالغام البحرية فقديم . ذكروا انه بينما كانت اسبانيا تحصر انفرس في اواخر القرن السادس عشر بنى اهلها عدة سفن سميت «سفناً منفجرة» وملأوها بارودأ وتركوها تجري مع تيار النهر نحو سفن اعدائهم فلما بلغتها انفجرت من نفسها بآلة اعدت لهذا الغرض والحقت بالمحاصرين ضرراً كبيراً . وفي اواخر القرن الثامن عشر اخترع بوشنل الاميركي ادوات سميت «آلات منفجرة» واطلقت على السفن الانكليزية في حرب الاستقلال الاميركي فاضرت بها بعض الضرر . واستخدم الروس الالغام في حرب القريم لحماية سواحلهم وثغورهم من السفن الانكليزية والفرنسوية فلم يفدهم ذلك كثيراً. ثم استخدمت في حرب اميركا الاهلية فاغرقت بعض السفن . وكذلك استخدمتها المانيا في الحرب السبعينية لحماية موانيها فجاءت حينئذ بالغاية المرومة بدليل ان الاساطيل الفرنسوية لم تجرأ على مهاجمة السواحل الالمانية مع ان اسطول المانيا لم يكن حينئذ شيئاً مذكوراً بازائها

اما انكلترا فلم تمل البتة الى استخدام الالغام بل نفرت منها لانها بمثابة اللكم تحت المنطقة في فن المصارعة فلا تجد السفينة المهاجمة فرصة للدفاع عن نفسها. على

ان استخدام الالغام لحماية الموانىء عدّ على الدوام امراً شرعياً ومع ذلك بقيت انكلترا حتى سنة ١٩٠٤ تستعمل لحماية ثغورها الكبرى نوعاً من الالغام اسمه «اوبزرفايشن مينس» . وهو صنفان الواحد يوضع في مدخل الميناء ولا ينفجر بمجرد مسّ السفن اياه . ويناط اطلاقه عند الاقتضاء برجل يكون على البر ويجهز بخريطة تشتمل على رسوم الالغام المنصوبة وامكنتها ونسبة ابعادها بعضها عن بعض . فيتتبع مجرى كل سفينة تقصد الميناء فاذا رأى منها شيئاً يشتبه فيه يمسّ زراً امامه فيتم به المجرى الكهربائي وينطلق اللغم الذي يريد اطلاقه عند مرور السفينة فوقه فيحطمها تحطيماً

والثاني صنف يسمى «ألكتريك كونتاكت» يوصل بينه وبين المدافع التي على البر بمجرى كهربائي ويطلق بواسطة رجالها عند اللزوم . وفي كلا الصنفين يوضع اللغم في قعر البحر ويثقل بالحديد او الحجارة ويطلق طرفه حتى يصير على عمق تسع اقدام او نحو ذلك من سطح الماء

وقد جرت عادة الامم المتمدنة ان تبث الالغام في مياهها اي في مداخل موانئها وعلى بعد ثلاثة اميال عن سواحلها اذ الغاية من الالغام الدفاع عن النفس ولكن الروس استعملوا في حربهم مع اليابان سنة ١٩٠٤ نوعاً من الالغام اذا نصب في مكان بقي فيه قابلاً للانفجار الى ما شاء الله فكل سفينة تمسه ينسفها. وكان الروس يبثون هذه الالغام في عرض البحر تجاه بورت ارثر حيث رجحوا مرور اليابانيين في مهاجمتهم لها بحراً . وحذا اليابانيون حذو الروس ولكنهم لم ينصبوا الالغام في عرض البحر والطريق العام بل في المداخل التي لابد للاسطول الروسي من اجتيازها اذا شاء خرق نطاق الحصار الياباني

وبعد مهاجمة النسافات اليابانية للمدرعات الروسية في ميناء بورت آرثر شرع الروس ينصبون الالغام حول مداخل الميناء منعاً لمهاجمة مدرعاتهم مرة

اخرى وانتدبوا لهذا العمل السفينة ينيسي فزرعت ثلاث مئة لغم في كل منها ٥٥٠ رطلاً من الديناميت . وبينا كانت آخذة في زرع اللغم الاول بعد الثلاث المئة افلت احد الالغام المنصوبة من مرساه وطفا الى سطح الماء . فلما رأته السفينة تقدمت الى امام فراراً منه فمست آخر فنسفت من مقدمها وغرقت هي ومعظم ملاحيها في دقائق قليلة

ولم يمضِ على هذا الحادث شهران حتى وجّه اليابانيون اسطولاً صغيراً من اللاغمات لزرع الالغام في المياه الروسية بجوار بورت آرثر وكان يحجب هذا الاسطول اسطول من النسافات فلم يدر الروس بما صنع اليابانيون.ولما اكملت اللاغمات عملها عادت من حيث اتت وبقيت النسافات في مكانها لعلها تغري الاسطول الروسي بالخروج من الميناء . ففازت ببغيتها وخرجت ثلاث مدرعات واربعة طرادات تطارد اسطول النسافات الياباني.اما النسافات فجازت طريقها آمنة . واما الاسطول الروسي فارتدّ عائداً الى الميناء بعد ما تبين لقائده الاميرال مكاروف الشهير ان النسافات انما تريد جرّه الى حيث يلاقي اسطولاً يابانياً كبيراً . وبينما كان الاسطول عائداً وقد صار على مقربة من بورت آرثر اذا بعامود من الماء قد ارتفع عن يمين بارجة الاميرال وتلا ذلك صوت انفجار هائل ثم ارتفع عامود آخر عن يسارها وتلاه انفجار آخر . ذلك ان البارجة المنكودة الطالع مرت بين لغمين متصلين بزنجير فانفجرا الواحد تلو الآخر . وكانت قوة الانفجار هائلة حتى انفجرت مخازن البارود في البارجة وفي دقيقتين من الزمان غارت في اليم وعليها نخبة ضباط البحرية الروسية من اركان حرب الاميرال ونحو ٧٠٠ ضابط ونوتي غيرهم . ولم ينج سوى نحو ٤٠ نفساً

وغرقت سفن اخرى في اثناء الحرب بمسّ الالغام . منها البارجة هتسوس اليابانية وغرق معها كثيرون . وفي اليوم عينه مسّت البارجة ياشيما اليابانية لغماً

فتحطم جزء منها وقطرت الى الشاطىء منعاً لها من الغرق فدلت هذه الحوادث على ان دولة بحرية صغيرة قدتستطيع بمساعدة الالغام الاستهانة بدولة اعظم منها بحراً وتهديد مدرعاتها بالتدمير من غير ان تستهدف احدى مدرعاتها هي للخطر

وكانت النتيجة الطبيعية لحرب روسيا واليابان ان الدول كلها اهتمت باتخاذ الالغام بعض سلاحها في حروبها . فبنت المانيا سنة ١٩٠٥ سفينتين لنصب الالغام وحذت انكلترا حذوها فيما بعد . وقد اعترفت الدول جميعهنّ بان الالغام ليست سلاحاً شريفاً للحرب ولكن اذا اصرّت دولة او دولتان على استعمالها لا يسع البواقي اهمالها . على ان الحكومة الانكليزية ما زالت تبذل الجهد في حصر استعمال الالغام في الحرب بل في منعه بتاتاً . ووجهت همّاً خاصاً الى منع الالغام الاوتوماتيك اي التي تنفجر حالما يمسها شيء . وزوّدت مندوبها في مؤتمر لاهاي الثاني الذي عقد سنة ١٩٠٧ بهذا الاقتراح : ان حكومة جلالة الملك تسرّ بمنع استخدام الالغام «الاوتوماتيك» في الحروب البحرية . ولكن اذا لم يقبل منعها تمامها تأمل مزيد الامل ان استعمال الالغام في الحروب لا يوافق عليه الا تحت ادقّ الضوابط واضيق الروابط»

ولكن المندوب الالماني كان مزوداً باوامر تخالف روح هذا الاقتراح بدليل ما ابدى من المعارضة الشديدة في حصر استخدام الالغام وقال ان لا لزوم لسن القوانين ووضع القواعد بهذا الباب لان «الضمير وأصالة الرأي ومعرفة الواجبات التي تفرضها مبادىء المروءة هي خير هادٍ يأتم به النوتية في مسلكهم وافضل ضامن يضمن عدم الخروج عن جادة الصواب» . ومعنى هذا واضح وهو ان المانيا كانت تريد ان تطلق يدها في استخدام الالغام فكان لها ما ارادت

وقد عرف رجال البحرية الانكليزية قبل اعلان الحرب ان المانيا لا تألو جهداً في بثّ الالغام حيثما كان من البحر الشمالي وعليه انتدبوا في صباح الخامس من

اعسطس اسطول النسافات الثالث للتفنيش عن اللاغمات.وكان هذا الاسطول مؤلفاً من ١٨نسّافة وعلى رأسه الكبتن فوكس يركب طراداً خفيفاً اسمه امفيون وحمولته ٣٤٤٠ طناً وسرعته ٢٥ ميلاً وقد بلغت نفقة بنائه ٦٧٠ ٢٧٢ جنيهاً.وكان فيه ١٠ مدافع من عيار ٤ بوصات وتوربيدان . اما النسافات فحمولة الواحدة منها نحو الف طن وفيها ٣ مدافع من عيار ٤ بوصات وتوربيدان مزدوجان وسرعتها ٢٩ ميلاً في الساعة

وبينا كان هذا الاسطول ماخراً في عرض البحر لقضاء مهمته التقى بسفينة للصيد فاخبرته بانها رأت في مكان على الساحل الشرقي من انكلترا سفينة مشتبهاً فيها تلقي اشياء منها في البحر.وللحال قصد الاسطول ذلك المكان فابصر عن بعد باخرة صغيرة سريعة من بواخر شركةهمبرجواميركامتجهة نحو الساحل الالماني بعد ما ألقت صفاً من الالغام تجاه ساحل «صفوك» من انكلترا وقد عرف فيما بعد ان هذا الصف امتد الى بعد ٦٠ ميلا عن البر . ولما دنا الاسطول منها اطلق مدفعاً يأمرها بالوقوف فلم تفعل بل زادت سرعتها آملة ان تنجو بنفسها من نسافات تزيد سرعتهن على سرعتها نحو ٥٠ بالمئة

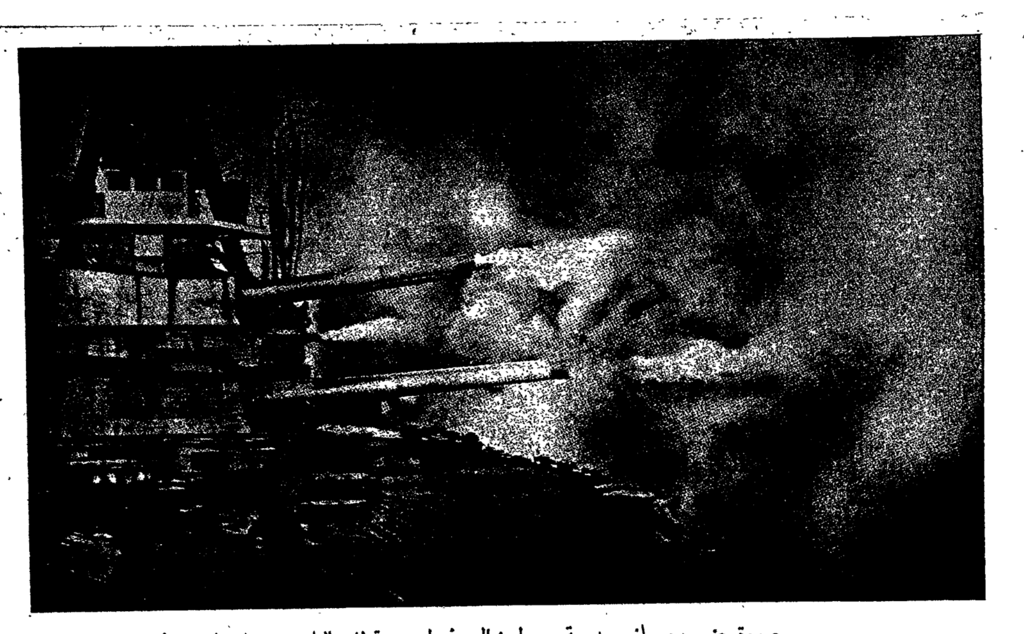
فلما رأى قائد الاسطول انها تنوي الفرار انتدب اربع نسافات من اسطوله لمطاردتها فلم يمضِ الا القليل حتى احدقن بها واطلقن اربع طلقات عليها فغرقت بعد ستدقائق من الطلقة الاولى.وكان فيها١٣٠ملاّحاً انقذت زوارق النسافات ٥٠ منهم . اما ربانها فهاله فقد سفينته وبينما كانت آخذة في الغرق تهدد بالقتل كل ملاّح من ملاحيه يريد التسليم ولكنهم انقذوه هو نفسه بالقوة .

ثم وزع الملاّحون على النسافات ولكن معظمهم نقلوا الى الطراد امفيون وكان كثيرون منهم جرحى . واستأنف الاسطول المسير لاكمال مهمته.ومضى ذلك اليوم بلا حادث آخر يذكر سوى انهم ابصروا دخان باخرة كبيرة في

الافق فهب الطراد اليها فوجدها تقل سفير المانيا من انكلترا الى بلاده فحذرها من الالغام في طريقها . وفي صباح اليوم التالي بينما كان الاسطول يمخر جنوباً بقيادة الطراد عاد فاقترب من منطقة الالغام حيث اغرقت السفينة الالمانية فمال عن مجراه تجنباً للخطر واذا بالطراد قد مس لغماً واحدق به سور من نار باسرع من لمح البصر فسقط الكبتن فوكس على الظهر لا يعي . ولكنه افاق من غشيته بعد قليل فاسرع الى غرفة الآلة البخارية ليوقف الطراد وكان لا يزال يجري بسرعة ٢٠ ميلاً . ولكن النار كانت قد لعبت بمقدم الطراد فلم يمكن احداً بلوغ مخازن البارود والذخيرة لاطلاق الماء عليها. وكان الطراد قد اخذ يغرق فبذلت المساعي في نقل الجرحى الى مكان امين فيما اذا انفجرت مخازن الذخيرة وفي قطر الطراد من مؤخره . ولكن ما كادت النسافات تحدق به حتى اتضح انه هالك لا محالة فجعل ركابه يغادرونه ولم يبق فيه احد بعد ٢٠ دقيقة من مسه اللغم

وبعد ثلاث دقائق من نزول الكبتن منه حدث انفجار آخر فيه نسف مقدمه برمته . ودلت الآثار على انه مس لغماً ثانياً نسف مخازن الذخيرة التي في المقدم فتطايرت الشظايا وارتفع بعضها الى علو عظيم ثم سقط على قوارب النجاة والنسافات وكان بينها قنبلة من قنابل الطراد فانفجرت على ظهر احدى النسافات فقتلت اثنين من النوتية واسيراً المانياً أنقذ من الطراد. ثم جعل مؤخر الطراد يغوص بسرعة وبعد ربع ساعة اختفى عن الابصار

وقد كانت قوة الانفجار شديدة الى حد ان نزعت مداخن الطراد ومدافعه وقوائمها من اماكنها ورفعتها الى الجو . ومعظم الذين فقدوا من نوتيته قتلوا في الانفجار الاول . وكان عدد الذين فقدوا ٤٨ نوتياً و٢٠ اسيراً المانياً



صورة جنب من جانبي مدرعة من طرز الدردنوط وهى تطلق النار من مدافعها

الفصل الرابع عشر

اغارة المانيا على التجارة الانكليزية

نمو تجارة المانيا البحرية — قيمة البحرية الانكليزية من الوجهة الاقتصادية — اهمية واردات الطعام في عين انكلترا — اساطيل المستعمرات — تسليح السفن التجارية — استيلاء انكلترا على مواصلات المانيا البحرية — فائدة التلغراف الاثيري (اللاسلكي) في الحروب البحرية — خوف الحاجة الى الطعام في ايام الحرب الاولى — معاملة السفن المعادية — اضطراب اسواق التأمين — قيمة السرعة في الغارات البحرية

لمّا اسست الامبراطورية الالمانية كان محمول سفنها التجارية ٩٨٢ ٣٥٥ طناً فزادت ٣٠٠ الف طن فقط في ١٨ سنة اي من تأسيس السلطنة الى تولي الامبراطور الحالي . ولكن لم يكد يرتقي الى السرير حتى اذاع على رؤوس الملأ انه يعدّ ترقية تجارة المانيا البحرية اعز امانيّه واذاع كذلك ان الاساطيل التجارية العظيمة لا يكون لها حظ دائم من البقاء بلااسطول حربي عزيز يحميها ويساعدها على الضرب في مناكب البحر

ومما ساعد على ترقية تجارة المانيا البحرية وتوسيع نطاقها ان الحكومة تمنح شركات البواخر اعانات مالية تستطيع بها نقل السلع باجور واطئة وبالتالي الفوز على مزاحماتها . وشجعت الحكومة صناعة بناء السفن بطرق اخرى متعددة فكانت النتيجة ان التجارة الالمانية خطت خطى واسعة منذ سنة ١٨٧٠ . ففي تلك السنة كانت المانيا الخامسة بين امم الارض الكبرى في محمول سفنها التجارية فارتقت حتى اصبحت الثانية في مستفتح هذا القرن لا يفوقها الا انكلترا . وما فتئت ترتقي من ذلك العهد الى الان . وفي سنة ١٨٧٠ كانت نسبة

محمول السفن التجارية الانكليزية الى الالمانية كنسبة ٧ ونصف الى ١ فتغيرت حتى صارت كنسبة ٤ الى ١ سنة ١٩١٢ . وبعبارة اخرى بلغ محمول سفن السلطنة الانكليزية ٣٦٥ ٨٤٦ ١٣ طناً في السنة المذكورة ومحمول سفن المانيا ٧٢٤ ١٥٣ ٣ طناً

ومع ذلك بقيت تجارة انكلترا البحرية هي المجلية في حلبة السباق وبينها وبين الثانية مسافة واسعة وكان كلما زيد عليها طن واحد زادت مخاطر انكلترا البحرية فان مهمة السفن الانكليزية هي نقل المصنوعات الانكليزية من انكلترا الى سائر أجزاء السلطنة ونقل مواد الطعام والمواد الاصلية (الخام) من انحاء السلطنة المختلفة الى انكلترا. ثم ان العمال الانكليز يعتمدون في أخذ اجورهم الاسبوعية على توريد المواد الاصلية (كالقطن والصوف والحديد وما شاكلها) وتصدير المصنوعات المختلفة . فاذا عجزت الاساطيل عن ابقاء دروب التجارة مفتوحة افضى ذلك الى اقفال المعامل جملة وخصوصاً معامل الشمال التي تعوّل في عملها على توريد القطن والصوف وغيرهما من مواد النسج مما تبلغ قيمة وارداته السنوية ١٥٠ مليون جنيه

وليست مسئلة الزاد والمؤونه باقل شأناً من مسئلة العمل والاجرة . فانه كلما مرّت سنة اصبح الانكليز سكان انكلترا اقل قدرة مما كانوا على تموين انفسهم مما تخرج ارضهم . ذلك بان الوفاً من الافدنة اخرجت من دائرة الزراعة وادخلت في دائرة الصناعة والبناء والوفاً من العمال تركوا الحرث والزرع والضرع فهجروا الارياف واموا المراكز الصناعية وبات اعتمادهم في معايشهم على الصناعة وبذلك ازداد معوّل انكلترا على السيادة البحرية

والمستفاد من الاحصاآت الاخيره ان انكلترا تستورد من مواد الطعام والغذاء كل سنة ما قيمته ٢٨٠ مليون جنيه او ٧٨٠ الف جنيه كل يوم . فاذا عجزت الاساطيل عن حماية سكك البحار التي تطرقها مئات من البواخر الانكليزية كل

يوم هلك اهل الجزر الانكليزية جوعاً . وقد اختلف المقدرون في تقدير المدة التي يبقى فيها الانكليز احياءً اذا قطعت عنهم واردات الطعام من الخارج فقدرها بعضهم بثلاثة اشهر اذا حصرت انكلترا في زمن الحصاد وبثلاثة اسابيع في غيره. والخلاصة ان قطع السكك التجارية على انكلترا يفضي الى كارثة عظيمة اذ مآله الى انقطاع الاعمال عن العمّال عامة وبالتالي الى المجاعة

وكلّ امة فرضت وقوع حرب بينها وبين انكلترا حسبت حساباً كبيراً في فرضها لما تستطيع من تعطيل التجارة الانكليزية بالتعرض للسفن التجارية وكأنها قالت في نفسها ان ثمن الحنطة ارتفع في حروب الثورة الفرنسوية الى ثلاثة اضعاف ما كان في ايام السلم . فخسرت انكلترا في عشرين سنة (اي من سنة ١٧٩٣ الى ١٨١٢) ٢٠٨٧٢ سفينة تجارية فيكون متوسط خسارتها السنوية ٣٤٥ سفينة . ولما كانت تجارتها اليوم اعظم بكثير مما كانت في ذلك الزمان وكانت اكثر اعتماداً في طعامها وتجارتها على تأمين السبل في وجه تلك السفن فان الاغارة على التجارة الانكليزية هي اضمن الوسائل لحمل انكلترا على الاذعان والتسليم . هكذا قال الكتاب الاجانب وتابعهم عليه كبار المفكرين من الانكليز انفسهم . ومما لا مشاحة فيه ان قطع الطريق على السفن التجارية الى حدّ مذكور يأول الى نكبة عظيمة في انكلترا

ومما قالوا في انفسهم ايضاً ان مجرّد الخوف من الحرب يحمل شركات السفن والبواخر الانكليزية على جمع سفنها وبواخرها في الثغور المختلفة خشية تعرّضها للاخطار بذهابها وايابها فيما اذا نشبت الحرب . وساد الاعتقاد في انكلترا بان اسعار المواد الغذائية ترتفع ارتفاعاً عظيماً في اوائل حرب تقوم بين انكلترا بان دولة بحرية كبيرة وقد لا تهبط تلك الاسعار ولو فازت انكلترا على مرّ الايام بتحطيم بوارج العدوّ . وبناءً على هذا الاعتقاد بثت انكلترا سفنها الحربية

مدة القرن الماضي في جميع انحاء الارض لتستطيع حماية تجارتها حالما تشب نار الحرب بينها وبين اية الدول

على انها خفضت عدد تلك السفن في العشر السنوات الماضية واضعفت قوتها البحرية في البحار النائية على اثر زيادة الاساطيل الالمانية في البحر الشمالي بمثل تلك السرعة المعروفة. فبانت قوتها البحرية خارج اوربا قبيل الحرب مؤلفة مما يأتي

في جزر الهند الشرقية : بارجة قديمة وطرادان خفيفان . في الشرق القاصي: بارجة قديمة وطرادان مدرعان وطرادان خفيفان وثماني نسافات. في الكاب: ثلاثة طرادات خفيفة وهي بطيئة لا شأن لها. على الساحل الاميركي من جهة الباسيفيك سفينتان صغيرتان قديمتان . على الساحل الجنوبي الشرقي من اميركا : طراد خفيف . على ساحل افريقية الغربي · مدفعية واحدة . على ساحل اميركا الشمالية من جهة الاتلانتيك : اربعة طرادات مدرعة وطراد خفيف

ولما نشبت الحرب وضعت اوستراليا ونيوزيلندا وكندا من المستعمرات الانكليزية قواتها البحرية تحت امرة انكلترا. فاسطول اوستراليا يشتمل على طراد مدرع وطرادين خفيفين سرعتها ٢٥ ميلاً في الساعة . وطرادين قديمين وبعض سفن خفر السواحل وثلاث نسافات وغواصتين . اما كندا فلم تعنِ بانشاء اسطول كبير لها وكل ما كان عندها سفينتان قديمتان اشترتهما منذ سنوات قليلة لتمرين بعض شبانها على الاعمال البحرية ولتكونا اساساً للبحرية الكندية التي قررت انشاءها فسلمتهما الى انكلترا . ولما شهرت الحرب اشترت غواصتين كانتا تبنيان في سان فرنسسكو لجمهورية شيلي لتخفر بهما ساحلها الغربي . واما نيوزيلندا فسلمت الى انكلترا ثلاثة طرادات قديمة وكانت قد اهدت اليها من قبل طراداً مدرعاً بقوة الطراد الاسترالي على ان يكون مقره في الشرق الاقصى ولكن انكلترا استأذنتها في اخذه الى المياه الاوربية فاذنت لها في ذلك وهو الان

في عداد طرادات الاسطول الاكبر. وقد بلغت جملة الطرادات الانكليزية في المحطات الخارجية قبيل نشوب الحرب نحو عشرين منها ستة فقط من الطراز السريع . ولكن كثيرين من الخبيرين بالشؤون البحرية نظروا الى حروب انكلترا البحرية الاخيرة حينما اضطرت الى ابقاء نحو ٥٠٠ طراد على قدم الحرب فذهبوا قياساً على الماضي الى انها تتبع الآن سياسة مفضية الى الهلاك بسبب قلة طراداتها في المياه الخارجية وقالوا انه يسهل على الطرادات الالمانية ان تلحق بالتجارة الانكليزية خسارة كبيرة بادىء ذي بدء . على انه يستدل من مراكز الاساطيل الالمانية ان المانيا لا تعوّل كثيراً على اتلاف التجارة الانكليزية في محاولة اسقاط انكلترا . وقد قال الجنرال فون برناردي في كتابه المشهور «ان حرباً تثار على تجارة انكلترا يجب ان يكون رائدها الهمة والجرأة والمفاجأة ولكنني ارى ان نجاح هذه المهمة يكاد يكون مستحيلاً وانه لا يرجى خير كثير من حرب مثل هذه»

وقد كان اقوى الاساطيل الالمانية خارج المانيا في زمن السلم اسطول الشرق القاصي اذ تألف من طرادين مدرعين وثلاثة طرادات خفيفة وعدة مدفعيات . وكان لها في الاوقيانوس الهندي طراد سريع . وفي الباسيفيك سفينتان قديمتان وفي الاتلانتيك اربع سفن سريعة . فالسفن الانكليزية التي خارج انكلترا اعظم عدداً من السفن الالمانية ولكن هذه اعظم سرعة . على ان لانكلترا مزية عظيمة جداً على المانيا في سلسلة الثغور ومحطات الفحم المتصلة التي تمتد حول الكرة في حين ان ليس لالمانيا منها خارج البحر الشمالي سوى خمس قواعد وهي كياوشاو في الشرق الاقصى . وساموا في الباسيفيك . ودار السلام في شرق افريقية . وخليج لودرتز في جنوب افريقية الغربي . ولوم في بلاد التوجو (توجولند) على ساحل افريقية الغربي

وزد على هذه الطرادات النظامية التي لالمانيا البواخر الكثيرة التي جهزتها بالسلاح والرجال واعدتها لتخريب التجارة الانكليزية عند شبوب نار الحرب . وقد قابلت انكلترا هذا العمل بمثله دفاعاً عن بواخر التجارة الانكليزية فجهزت كل باخرة بمدفعين من عيار ٤،٧ البوصة . فلما جاءت الحرب كان عندها نحو ٤٠ باخرة من هذه البواخر المسلحة على ضعف سلاحها

على ان امضى سلاح عند انكلترا لحماية الملاحة الانكليزية ومهاجمة الملاحة الالمانية هو الاسطول المرابط في مياهها . فان نظرة واحدة الى الخريطة تري الناظر ان جزر المملكة الانكليزية هي بمثابة سد هائل في طريق مواصلات المانيا البحرية . وكل سفينة تريد دخول ميناء الماني لا بدّ لها من المرور امام سواحل انكلترا ما عدا السفن الماخرة في البحر البلطيك

واول عمل عملته الاساطيل الانكليزية لما رأت ان لا مناص من الحرب هو انها توجهت الى محطاتها ونقطها الحربية . ولم يكن احد يعلم الى اين ذهبت ولكن لم يغب عن علم احد ما هي المهمة التي انتدبت لها ـ اي قطع الطرق على مواصلات المانيا البحرية باستلام زمام الترعة الانكليزية (خليج المانش)والطريق الآخر المؤدي الى البحر الشمالي وهو الذي يمر حول ساحل اسكتلندا . وكانت نتيجة ذلك انه لم تسطع سفينة المانية حربية كانت او تجارية ان تدخل البحر الشمالي او تخرج منه بعد نشوب الحرب من غير ان تتعرض لخطر الالتقاء بالاساطيل الانكليزية . ولا ينكر ان بعض السفن ربما فاز بالمرور ماخراً حذاء ساحل نروج ليلاً ومختبئاً نهاراً بين الجزر الكثيرة المتناثرة هنالك ولكن يقال اجمالاً ان قطع المواصلات الالمانية مع الخارج كان تاماً . اما السفن التي كانت خارج المانيا عند اعلان الحرب فلم يكن لها مفرّ من احد امرين فاما ان تلجأ الى ميناء محايد واما ان لا تلجأ اليه وحينئذٍ فلا بد من

وقوعها في اسار الطرادات الانكليزية . وأما السفن التي كانت في مرافىء محايدة فابلغت بالتلغراف الاثيري ان تبقى فيها حيث امكن ابلاغها . وهناك ما يحمل على الاعتقاد بان كثيراً من البواخر المسلّحة التي عوّلت المانيا عليها في تعطيل التجارة الانكليزيه كانت تحمل مدافعها معها على الدوام وان الذخيرة ارسلت اليها من بواخر اخرى كانت في البحر او من مرافىء محايدة وهذا هو الارجح

ولم تمرّ على ابتداء الحرب سوى ايام قليلة حتى لم يبقَ في عرض البحر سفينة تجارية المانية فانحصرت مهمة الاساطيل الانكليزية في تحطيم السفن التي وكلت المانيا اليها شلّ الملاحة الانكليزية وقطع الطرق على البواخر الانكليزية . ومعظم هذه البواخر مجهزة بالتلغراف الاثيري فتستطيع به ان تخاطب اقرب البوارج الانكليزية فيما اذا التقت بسفينة المانية معادية . ولكن ظهر فيما بعد ان اول عمل كانت الطرادات أو البواخر الالمانية المسلحة تعمله عند التقائها بباخرة انكليزية هو ان تتوعد الباخرة بتدميرها حالاً اذا ارسلت حرفاً واحداً بالتلغراف الاثيري. ثم اذا أوقفت الباخرة حطم الالمان آلتها الاثيرية فتعذر عليها اخبار اصحابها بمكان اعدائها

وقد تمكن الالمان مراراً كثيرة من سرقة الرسائل الاثيرية بين الطرادات والبواخر الانكليزية ومن قراءتها فتجنبوا بذلك الطرادات وقطعوا الطريق على البواخر . وقد خشيت الحكومة الانكليزية حدوث مثل هذا في مياه انكلترا حيث احتشد الاسطول الاكبر فمنعاً له وضعت يدها عند نشوب الحرب على جميع ما في انكلترا من آلات التلغراف الاثيري واصدرت الاوامر تحظر على جميع السفن الانكليزية ما عدا الحربية طبعاً استعمال التلغراف الاثيري في مياه أنكلترا. ومع هذا كله تمكن الالمان من الحصول على انباء كثيرة مهمة بواسطة المحطات المحايدة في الولايات المتحدة الاميركية واميركا الجنوبية وجزر الهند الشرقية

التابعة لهولندا

وبالرغم من ثقة الانكليز بقدرة اساطيلهم على تأمين طرق الملاحة وابقاء الباب مفتوحاً في وجه البواخر تدخل المواد الغذائية بلا مانع ـ استحوذ عليهم في اوائل الحرب شيء يشبه الذعر على شركات الملاحة خاصة وجمهورهم عامة. ولعل السبب الحقيقي في ذلك الذعر هو جهلهم لقوة الاساطيل وحسن ادارتها لاعدم ثقتهم بها. وكانت النتيجة ان الناس هبوا يذخرون الطعام معتقدين بانه لا يمضي الا القليل حتى تبيت اسعار المواد الغذائية عالية بحيث يتعذر شراؤها الا على الاغنياء ومتوسطي الحال. فباعت الشركات الكبيرة التي تحفظ اللبن واللحم في العلب كل ما عندها منهما. وقل الدقيق حتى امسى لا يباع ولا يشترى في البلاد المتطرفة. فنهض الوزراء اذ ذاك يطيبون قلوب الامة ويؤكدون ان لا مسوغ لما تبديه من الهلع فسكن ما جاش من الجاش واخذت الاسعار تهبط. ودهش المرجفون ـ وفي جملتهم بعض الصحف التي نشرت المقالات المروّعة للقلوب قبل الحرب تنذر فيها بالمجاعة ـ دهشوا اذ رأوا البواخر لا تزال تدخل الثغور المختلفة وهي تقل الزاد والمؤونة على جاري العادة كأن لم يكن هناك حرب. ولم يمضِ اسبوعان حتى هبطت اثمان الاطعمة الى مستواها المعتاد او كادت. ولم يخسر الا الذين لبّوا داعي الخفة فاشتروا مقادير كثيرة من اطعمة لا قبل لهم باستهلاكها وباثمان عالية. وبقيت الخضر والخبز واللحوم الجديدة تباع في الاسواق باسعار تزيد على الاسعار العادية قليلاً ولم يقلّ الموجود منها عما كان. وسبب ذلك ان كثيراً من البواخر التي كانت تقلّ الاطعمة الى المانيا اضطرت ان تعرّج على انكلترا لتفرغ شحنها فيها. صحيح ان المانيا لا تعول في طعامها على ما يرد من الخارج بقدر انكلترا ولكنها ادركت فيما بعد ان وقوف الحركة التجارية في دروب البحار هو عامل جوهري في سير الحرب

وما كادت الحرب تعلن حتى شرعت انكلترا والمانيا تغير كل منهما على تجارة الاخرى في البحر وكان لانكلترا مزية كبيرة على خصيمتها في هذا الباب لسببين الاول تفوقها عليها في عدد الطرادات المختصة بهذا العمل. والثاني أن كل السفن التي تقصد المانيا من جميع البلاد ما عدا اسوج ونروج وهولندا لا غنى لها عن اجتياز خليج المانش والبحر الشمالي حيث مرسى الاساطيل الانكليزية . فلذلك قبض على كثير من السفن الالمانية وهي تحاول اجتيازهما . ومثل ذلك جرى للتجارة الالمانية في سائر انحاء السلطنة الانكليزية . فان الطرادات الموزعة على أجزاء السلطنة ابلغت بالتلغراف الاثيري والعادي نبأ اعلان الحرب حالما اعلنت وقيل لها ان اطلبي السفن الالمانية اينما كانت . ولكنها لم تفلح في مهمتها كثيراً لان المانيا كانت قد ارسلت التلغرافات المستعجلة في اول اغسطس – وقيل قبل ذلك – الى جميع الثغور والموانيء المحايدة الكبيرة التي تكثر السفن الالمانية من الترداد اليها تأمر السفن التي فيها بالبقاء حيث كانت والسفن التي يصلها التلغراف الاثيري بالرجوع الى تلك الثغور والموانيء . فحرمت الاساطيل الانكليزية بهذا الامر فرصة اسر بعض البواخر الالمانية الكبرى التي كانت قد غادرت ميناء نيويورك اذ عادت من حيث اتت

هذا دليل من الادلة الكثيرة على ان المانيا عقدت النية على جرّ انكلترا الى الحرب . ومما يدل ايضاً على نيتها هذه ان الاوامر صدرت في آخر يوليو الى كثير من السفن الالمانية الراسية في الثغور الانكليزية النائية بأن تقصد اقرب ميناء محايد باسرع ما تستطيع لتنجو من حجزها . فازدحم ميناء نيويورك وبوستن من موانيء الولايات المتحدة الاميركية بالسفن الالمانية قبل اعلان الحرب . وفي ٢٨ يوليو خرجت من ميناء نيويورك باخرة كبيرة من بواخر شركة النورديتشر لويد الالمانية قاصدة برمن في المانيا بطريق بليموث وشربورج

وهي تقلّ مليوني جنيه ذهباً «برسم» لندن وباريس . فلم تكد تصل السواحل الانكليزية حتى انبثت بالتلغراف الاثيري ان الحرب مرجحة الوقوع بين انكلترا والمانيا . فحاولت في باديء الامر على ما يظهر ان تؤم بريمن توا ماخرة حول اسكتلندا من الشمال . ثم عدلت عن هذه النية وازمعت العودة الى اميركا باسرع ما يمكنها وسرعتها ٢٣ ميل ونصف في الساعة فبلغتها عند اعلان الحرب او بعد اعلانها بقليل . ذلك انها صبغت مداخنها بلون آخر غير لونها المعروف وغطّت مقدمها ومؤخرها ستراً لهما وقصدت اقرب مكان تستطيع فيه ان تحتمي بحمى اميركا بعد ما اطلقت لنفسها العنان ففازت بأربها .ثم استرقت الخطى على الساحل الاميركي الى ميناء آخر ملاءمة لها . ومن لطيف ما جرى للباخرة في عودتها الى اميركا انها كانت تقلّ عدداً من ارباب الاموال الاميركيين فعرضوا على ربانها ان يشتروها منه ويرفعوا الراية الاميركية عليها فابى وفضّل فعل ما فعل

ولم تكن شركات الملاحة الانكليزية اقلّ هلعاً من شركات الملاحة الالمانية لما شبت نار الحرب ولكن من حسن طالع الانكليز ان كثيرين من مهندسي البواخر كانوا قد اعتصبوا قبل الحرب لخلاف بينهم وبين مديري الشركات فكانت النتيجة ان كثيراً من البواخر التي كانت تكون في ثغور المانية لما اعلنت الحرب بقيت في انكلترا فنجت بذلك من الوقوع في قبضة الالمان . وكثير من ارباب البواخر ذعروا من المقالات التي كان بعض الصحف ينشرها فالغوا سفر بواخرهم . وبلغ الذعر معظمه في اسواق التأمين . فان نحو اربعة اخماس السفن الانكليزية مؤمّن عليها بحيث انه اذا نشبت حرب في اثناء غياب سفينة مؤمن عليها عن انكلترا واصيبت من جرائها بضرر من وقت نشوب الحرب حتى بلوغها اقرب ميناء انكليزي او محايد اقتضت من شركة التأمين غرامة مساوية لما نالها من الضرر . وهذا التأمين يلائم مصلحة اصحاب السفن كما هو ظاهر ولكن

فيه ما فيه من الخطر على انكلترا لانه يغري السفن بالهرب الى اقرب ميناء عند نشوب الحرب والبقاء فيه الى نهايتها . فارتفعت اسعار التأمين حتى بلغت ٧٥ بالمئة في بعض الحالات وكانت نتيجة ذلك ان بعض طرق الملاحة سدّ بالمرة الى حين لما في السفر من الخسارة المالية العظيمة . وبقيت الحال كذلك حتى تداركت الحكومة الامر بمشروع وضعته لتأمين السفن والبضاعة التي تنقلها مما جرأ البواخر على استئناف اسفارها لانه دلّ على ثقة الحكومة بقدرة اساطيلها على حماية طرق الملاحة من كل خطر مفاجىء

عادت البواخر تمخر بين السواحل الانكليزية والخارج على جاري عادتها كأن لم يكن هناك حرب ولكن لم يخل الامر من بعض الحوادث . منها ان الطراد الالماني الخفيف المسمّى «درسدن» كان يرصد طريق البواخر شمالي برنامبوكو في مياه اميركا الجنوبية فاغرق باخرتين انكليزيتين هما هيادس وونتشستر . ولم يكن في تلك المياه قبيل الحرب سوى طراد انكليزي واحد اسمه غلاسكو وهو من النوع الخفيف ايضاً ولكنه اكبر من الطراد الالماني واقوى واسرع فنقل ملاّحي الباخرتين اليه . ومما خفّف على الانكليز الم المصاب بعض الشيء ان احدى الشركات الالمانية في بونس ايرس كانت قد استأجرت احدى السفينتين الغريقتين وحمّلتها ذرة «برسم» المانيا . فالباخرة انكليزية وحملها الماني

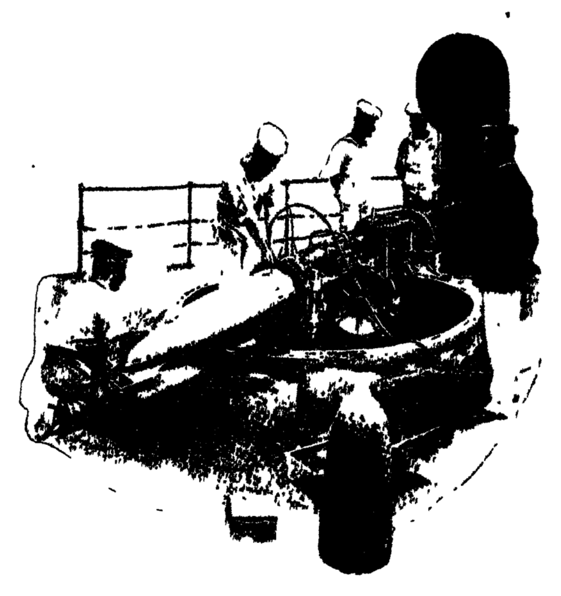
وجرى في شمال الاتلانتيك حادثان هاجا بلابل الحلفاء في اوائل الحرب . اما الاول فهو حادث الباخرة لوزيتانيا من اكبر بواخر الملاحة الانكليزية واسرعها فضلاً عن انها وضعت تحت امرة وزارة البحرية لتسلحها وتحولها شبه طراد حين الاقتضاء . وحكاية هذه الباخرة انه لما اعلنت الحرب بين انكلترا والمانيا كانت في ميناء نيويورك تستعد للسفر الى انكلترا . فشاع اذ ذاك ان طرادين المانيين هما كارلسروه وستراسبرج يرصدان طريقها لعلهما ينقضان عليها في خلال عودتها

ويأسرانها . فاقترح قائد الاسطول الانكليزي في شمال الاتلانتيك ان ينتدب طرّاد من طراداته لخفارة الباخرة في عودتها ولكن ربانها رفض الاقتراح اذ لم يكن بين طرادات الاسطول طراد يجاريها وتعادل سرعته سرعتها وفضل الاتكال على سرعة باخرته

خرجت الباخرة من ميناء نيويورك في نصف ليل الخامس من اغسطس وانوارها مطفأة وحادت في سيرها عن السبيل الذي تطرقه البواخر عادة . ومع ذلك رآها الطراد الالماني «درسدن» واقتفى اثرها ولكنها نجت منه بفضل تفوقها عليه في سرعتها . ولم تكد تنجو حتى طرأ خلل على آلتها البخارية فاضطرت ان تتمّ سفرتها بسرعة ٢٠ ميلاً فقط . ولو طرأ ذلك الخلل عليها والطراد يطاردها لامكنه ادراكها بسهولة

ومثل هذا اصاب الباخرة الفرنسوية لورين ايضاً . فانها كانت في نيويورك لما اعلنت الحرب تستعد للسفر الى فرنسا باربع مئة وخمسين رجلاً من الاحتياطي الفرنسوي . وكانت تعلم بوجود طرادات المانية في الاتلانتيك . فعقد ربانها مجلساً من الضباط والملاحين وسألهم هل توافقون على العودة الى فرنسا بالباخرة مع ما في ذلك من المجازفة . فاجابوا كلّهم نعم. وعليه غادرت الباخرة نيويورك بعد الباخرة لوزيتانيا باثنتي عشرة ساعة ولكنها كانت اقل سرعة منها . وفي مساء يوم سفرها بصرت بالطراد درسدن عن بعد فاطلقت آلتها البخارية على مداها والطراد يطاردها ولكنه عجز عن اللحاق بها فنجت منه سالمة . وبعد نجاتها منه بقليل قطعت آلتها الاثيرية تلغرافات كانت تدور بين الطرادات الالمانية الاخرى فاتضح لها ان الطرادات تترصدها لتوقع بها . ولكن البخت اسعدها كما اسعد الباخرة لوزيتانيا قبلها اذ ارخى الضباب الكثيف سدوله على الاتلانتيك فامنت اسر الطرادات الالمانية لها ودخلت المافر بسلام آمنة

فما حدث لهاتين الباخرتين زاد اصحاب البواخر خوفاً من ارسالها الى البحر



بحارة انكليز يجهزون الطوربيد بالهواء المضغوط
لنسف بارجة في عرض البحر

ولا سيما انه ليس بين البواخر كلّها ما تبلغ سرعته ٢١ ميلاً في الساعة الاّ القليل. وهيهات ان ينسدل حجاب الضباب كلما مخرت باخرة في البحر فينجيها كما نجى الباخرة الفرنسوية المذكورة . ولكن هذا الخوف زال لما أعلنت وزارة البحرية الانكليزية في السادس من اغسطس ان مكان الطرادات الالمانية في الاتلانتيك معروف وانها اتخذت التدابير اللازمة لتلافي شرها. فانها هي والبحرية الفرنسوية زادتا طراداتهما هنالك في اوائـل الحرب زيادة كبيرة . ولما كان لالمانيا في الاتلانتيك خمسة طرادات فقط ولانكلترا اربعة وعشرون طراداً ادرك الانكليز اذ ذاك صغر خطر الملاحة على بواخرهم فهبطت اسعار التأمين وزاد عدد البواخر والسفن الماخرة في الاتلانتيك على تلك النسبة

ولنسمع الان ما جرى لاحدى البواخر الالمانية الكبرى التي اعدتها المانيا لتسلّح حين الحاجة ولتقطع السبيل على البواخر الانكليزية. وهذه الباخرة هي المسماة «القيصر فلهلم الكبير» بنيت سنة ١٨٩٧ وطولها ٦٢٦ قدماً وحمولتها ١٤٣٤٩ طناً وسرعتها ٢٢ ميلاً ونصف في الساعة وهي من بواخر شركة نورديتشر لويد المشهورة . وكانت في اول الحرب راسيه في ميناء نيويورك تتأهب للعود الى بريمن في المانيا . فلما علمت ان الحرب شهرت انزلت ركابها وشحنها الى البر واخذت ما يلزمها من الفحم والمؤونة وخرجت سرّاً الى حيث لم يعلم احد . وكان يتعذر عليها بلوغ ميناء الماني اذ لم تكد الحرب تشهر حتى سدّت السفن الحربية الانكليزية مداخل الثغور الالمانية

واول ما سمع عنها انها اسرت سفينة صيد انكليزيه على مقربة من ساحل جزيرة ايسلندا . والظاهر انها كانت مزودة باوامر تأمرها بالتعرض للتجارة الانكليزية في الاتلانتيك على طريق جنوب افريقية اذا لزم الامر اذ لم تمضِ الاّ ايام قليلة على اسرها لسفينة الصيد الانكليزية حتى رؤيت جنوبي جزر الكناري المناوحة

لساحل المغرب الاقصى

وفي ١٤ اغسطس دنت من هذه الجزر الباخرة الانكليزيه «غاليشيان» في طريقها من جنوب افريقية الى انكلترا . فجاءهـا تلغراف اثيري من الطراد الانكليزي «كارنرفون» يسألها عن مكانها بالتدقيق فاستأنس ربانها بهذا التلغراف الدالّ على وجود طراد انكليزي قربه ولا سيما انهم انذروه قبل سفره بامكان وجود سفن معادية في طريقه

ومرّ ذلك اليوم بسلام . وبعد ظهر اليوم التالي رأى الربان باخرة كبيرة تجري في اثره فلم يعلم انها الباخرة « القيصر فلهلم الكبير » حتى اقتربت اليه كثيراً . فارسلت بالتلغراف الاثيري رسالة الاستغاثة المعروفة أملاً ان يكون الطراد المذكور قريباً . ولم يكد يطير الحرف الاول من الاستغاثة حتى اتته رسالة اثيرية من الباخرة الالمانية تقول : اذا ارسلت حرفاً آخر من رسالة الاستغاثة ارسلتك بسفينتك الى قعر اليمّ» . ثم امرت بالوقوف فتوجه اليها زورق الماني يقلّ بعض النوتية . واول شيء عملوه فيها هو انهم اتلفوا تلغرافها الاثيري ثم استعرضوا ركابها ونوتيتها لفحصهم . فاتضح ان اثنين منهم جنديان عائدان الى انكلترا فاسرا وامرا باخذ امتعتهما والاستعداد للذهاب الى الباخرة الالمانية . وبالغ الالمان في ملاطفة اهل الباخرة الانكليزية الى حدّ الاعتذار عما وكل اليهم عمله . وطلبوا شيئاً من الكينا ودفعوا ثمنهوقدماليهم بعض السيجارات هدية فرفضوا قبولها مع شدة الالحاح قائلين : لا نريد ان يقال عنا اننا نهبنا الباخرة » . ثم عادوا الى باخرتهم باسيريهم وامروا الباخرة الانكليزيه بان تتبعهم عن كثب

ثم جرت الباخرة الالمانية جنوباً والباخرة الانكليزية تجري وراءها وبقيتا كذلك طول الليل.وكانتا تجريانوانوارهما مغطاة وحادتاعن الطريق المطروقة

تجنباً للسفن الذاهبة والآتية . وبعد نصف الليل ارسلت الباخرة الالمانية رسالة بالاشارات الى ربان الانكليزية أن خذمن الزاد الى قواربك ما يكفيكم خمسة ايام فانكم ستهجرون باخرتكم» . فادرك الربان ورجاله معنى هذه الرسالة وهو انهم سيتركون في قواربهم لرحمة البحر يتعسفون ويتخبطون فيه على غير هدى الى ان تمر بهم سفينة فتنقذهم او يبلغوا اقرب مكان على الساحل . اما باخرتهم فترسل الى قعر البحر . ولما لم يكن مناص من ذلك هبّوا يعملون عن طيب نفس ولكن جاءتهم رسالة اخرى بعد نصف ساعة تقول : ليس عندنا اوامر اخرى . انتم مطلقو السراح . نستودعكم الله»

ثم سارت الباخرة الالمانية باعظم سرعتها فاختفت عن الابصار . اما الباخرة غاليشيان فاستأنفت سفرها بركابها ونوتيتها الى تنريف فبلغتها بعد يومين . وهناك علمت ان طرادين انكليزيين بجوار تنريف تلقّيا اثراً من رسالة الاستغاثة التي قطعتها الباخرة الالمانية فادركا منه ان باخرة انكليزية الى الجنوب في خطر . فاتجها جنوباً لعلهما يتمكنان من مخاطبتها بالتلغراف الاثيري ولكن رسائلهما لم تبلغها طبعاً لان الباخرة الالمانية قطعتها وقرأتها فادركت انها هي نفسها في خطر لقرب الطرادين منها فتركت الباخرة غاليشيان وشأنها وفرّت هاربة

وفي ١٦ اغسطس كانت باخرتان انكليزيتان على مقربة من جزر الكناري وكانتا قد انذرتا بامكان وجود سفن المانية في جوارها . وفي فجر ذلك اليوم ابصرت احداهما الباخرة الالمانيه المذكورة عن بعد فحاولت الاستغاثة ولكن جاءها بلاغ تهديدي منها فاذعنت . وللحال صعد النوتية الالمان اليها واسمها كايبارا فحطموا آلة التلغراف ووضعوا الديناميت في قعرها وامروا ركابها ونوتيتها بالنزول الى القوارب واخذ امتعتهم الى الباخرة الالمانية . وما كاد آخر رجل فيها ينزل منها حتى اطلقت الباخرة الالمانية المدافع عليها فاغرقتها بعد اطلاق ٥٣

مدفعاً . وقد عومل ركابها احسن معاملة وقال احد ضباطها ان الالمان اعطوهم اسرّة في «صالون باخرتهم وقالوا لهم انهم لم يسروا باغراق الباخرة ولكنهم لم يستطيعوا الا تنفيذ الاوامر التي معهم . وبعد اغراقها بساعات قليلة التقوا بباخرة اخرى اسمها نياجا وجرى لهم معها ما جرى مع سابقتها . وبعد تحطيمهم اياها قصدوا خليج ريودلورو على ساحل افريقية الغربي وهو من املاك اسبانيا فاخذوا فحماً من فحّامة المانية كانت هناك وكانت متنكرة لتلوح للرائين عن بعد كانها انكليزية . ثم خرجت الباخرة «القيصر فلهلم الكبير» الى البحر وبقيت تروح وتجيء اسبوعاً من غير ان تظفر بغنيمة . والسبب في ذلك ان صدى اعمالها بلغ البواخر الانكليزية فحدن عن السكة المطروقة. على انها عادت في ٢٧ اغسطس الى الخليج المذكور لتأخذ فحماً من ثلاث فحامات المانية كن ينتظرنها فلقيت في هذه المرة حتفها

وهاك ما جرى لها كما قصه كبير ضباط الباخرة كايارا وكان لا يزال اسيراً عليها قال :

«بينما كانت الباخرة الالمانية تأخذ الفحم سمعنا صوت نفير فيها فتراكض رجالها الى الظهر وهم شاهرو مسدساتهم ومشرعو حرابهم . واذا باحد ضباطها قد دنا مني وخاطبني بالانكليزية قائلاً :قد اتاكم الفرج فقد اقبل طراد انكليزي على ما اظن» . ولكن لم يحدث شيء واستأنفت الباخرة اخذ الفحم . والظاهر ان احد الحراس رأى غير شيء فظنه طراداً فانذر اهل الباخرة بالخطر . على ان وكيل الربان جاءنا بعد ساعتين يقول:ارجو منكم ان تنزلوا كلكم الى تلك الفحامة حالاً فان طراداً انكليزياً سيطلق النار علينا».وكان هذا الطراد الطراد «هايفلاير» فلبسنا ما تيسر من الملابس ووثبنا الى الفحامة التي قال وكيل الربان عنها . وصدرت الاوامر ايضاً الى كثير من ضباط الباخرة ونوتيتها بركوب الفحامات.

ولم يكادوا يفعلون حتى شرع طراد انكليزي يطلق النار عليها فجاوبته بالمثل . اما انا فعهد الي في ادارة الفحامة التي نحن فيها الى حين فابتعدنا عن الباخرة «القيصر فلهلم» شيئاً فشيئاً . وكانت قنابل الطراد تصيبها وقنابلها لا تبلغ الطراد لقصر مدى المدافع . وكانت فحامتنا على بعد ١١ ميلاً من الباخرة لما غرقت فلذلك لم نشاهدها تغرق . واستأنفنا المسير الى لاس بلماس حيث ركبنا الباخرة اننداا فاقلتنا الى لندن» انتهى

ولما بلغ لندن ما فعل الطراد «هايفلاير» اتته هذه الرسالة الاثيرية من وزارة البحرية : عشت . فقد خدمت انكلترا وتجارة العالم السلمية . ويظهر لنا ان الضباط والنوتية الالمان اتموا واجباتهم بمروءة واعتدال . فهم يستوجبون كل رعاية تليق بنوتية مثلهم» . ومن اهم النتائج التي نتجت عن اغراق الباخرة الالمانية ان اسعار التأمين على البواخر الماخرة بين انكلترا وثغور جنوب افريقية واميركا الجنوبية هبطت ٢٥ بالمئة

ومما يستحق الذكر ان المانيا بذلت مزيد العناية والاهتمام عند وضع خططها البحرية بحالتها الناشئة عن عدم وجود محطات للفحم عندها فحاولت تذليل هذه العقبة باخذ كثير من البواخر الكبرى التي للشركات الالمانية المختلفة وتحويلها سفناً لنقل الفحم والمؤونة والذخيرة وتوزيعها في جميع اجزاء المعمور فتكون لسفنها الحربية بمثابة محطات تأخذ منها ما يلزمها من فحم وزاد وذخيرة وغيرها. وزودت كل باخرة منها ببروغرام مقرّر لا تحيد عنه الا لداعي الضرورة القصوى . ورتب كل شيء بحيث ان هذا الطراد يجتمع بتلك الباخرة التي تحمل الزاد في مكان وزمان معلومين.ومتى نفد ما في الباخرة من المؤونة قصدت المواني المحايدة لاخذ مؤن اخرى بشرط ان لا تتنسم اخبارها سفينة من السفن الانكليزية او الفرنسوية التي تترصدها هي وامثالها . وقد نجحت هذه الخطة كثيراً في اوائل

الحرب ولكن لما غصت البحار فيما بعد بالسفن الانكليزية والفرنسوية بات انفاذها متعذراً

واتفق أن الطراد الانكليزي المدرع صفوك لقي ذات يوم في اوائل الحرب الطراد الالماني الخفيف كارلسروه وهو يأخذ الفحم في عرض البحر من باخرة المانية كبيرة . ولكن الطراد الالماني انذر من قبل بوجود الطراد الإنكليزي في جواره فلما علم بانه يقصده اطلق ساقيه للريح فتقدم خصمه كثيراً بفضل سرعته فان سرعته ٢٨ ميلاً وسرعة الانكليزي ٢٣ . وكان الطراد صفوك قد ارسل تلغرافاً اثيرياً الى طرادين انكليزيين آخرين هما برويك وبريستول يستعين بهما على خصمه فدخلا في الطراد . اما برويك فلم يكن اسرع من صفوك . واما بريستول فلما كانت سرعته ٢٥ ميلاً فانه سبق رفيقيه في مطاردة خصمه . ولما رأى الطراد الالماني ان الطراد بريستول انفرد عن رفيقيه جعل يتثاقل في جريه لعله يستطيع مقاتلته منفرداً . وكان الليل قد أرخى سدوله والبحر مزبداً بحيث يستحيل على الرماة اصابة الهدف ومع ذلك تقاتل الطرادان نصف ساعة لم يصب الطراد الانكليزي في خلالها مرة واحدة واصيب الالماني مراراً على رواية خصمه . ثم اقبل الطرادان الآخران لانجاد رفيقهما فلما رأى الالماني ذلك فرّ هارباً فاطلق عليه بريستول النار من مدافعه الامامية . ولجأ الالماني الى ميناء سان جوان في بورتوريكو . ويقال آن آثار القنابل كانت بادية على مؤخره وان احد مدافعه في المؤخر كان مكسوراً وان ثمانية من ملاحيه جرحوا

فهذه الحادثة واشباهها ابانت تفوق السفن الالمانية على الانكليزية في السرعة وارت الانكليز مغبة اهمالهم اذ كانوا يعلمون ما تبذل المانيا من المجهود في بناء سفن عظيمة السرعة ولكنهم لم يحاولوا مجاراتها في ذلك . ولو جاروها فيه لما لقوا ما يلقون الان من الصعوبة في ضرب الطرادات الالمانية ومنعها من العبث

بتجارتهم . ومضى شهران على الحرب ولم يستطيعوا ضرب طراد الماني واحد خارج المياه الاوربية او اعتقاله

الفصل الخامس عشر

شغل روسيا الشاغل وجيشها الهائل

السياسة الالمانية العليا — اصل المحالفة الثلاثية — المانيا بين نارين — خدمة كوروبتكين لروسيا — سعة املاك روسيا وصعوبة الهجوم عليها — بلاد شرقي بروسيا وحصونها — قيمة سكك الحديد الالمانية والنمسوية من الوجهة الحربية — قوة روسيا الدفاعية والهجومية — سيادة المانيا البحرية في البلطيك — نظام القرعة الروسية — قوة روسيا الحربية — صفة الجندي الروسي — قواد الجيش الروسي — وعد القيصر لبولندا

ان الامبراطورية الالمانية التي نودي بها في قصر ملوك فرنسا القديم بفرسايل في شهر يناير سنة ١٨٧١ ورثت تقاليد السياسة البروسية وكان من النقط الاساسية في تلك التقاليد وجوب مصادقة روسيا. وبقي الامبراطور فلهلم جدّ الحالي متشبثاً بهذه النقطة حتى يوم مماته . وبينما كان يجود بنفسه اوصى ولي عهده ووارث الملك من بعده قائلا «ارعَ ودّ القيصر»

على انه كان قد طرأ على السياسة الالمانية بعض الانقلاب من هذه الجهة حتى قبل وفاة الامبراطور جدّ الحالي سنة ١٨٨٨ فان بسمرك كان قد انتزع القوة من يده فعلاً حتى بات زمام امور الامبراطورية في يده يديره كيفما شاء طبقاً لارادته المطلقة . ولما عقد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ مال بسمرك مع لورد سالسبري في معارضة ما اقترحت روسيا من تجزئة البلقان وتوزيعه على هواها بعد حربها مع تركيا . وقال بسمرك في اعتراضه على فكرة روسيا هذه انه خير اصدقاء القيصر

وانه ليس سوى سمسار امين يريد المطابقة بين مطامح النمسا وروسيا في البلقان على ما بينهما من التناقض خدمة للسلام . ولكن هذا السلوك كان بدء سياسة مآلها الى افتراق الجارين الواحد عن الآخر في سيرهما بعد ما عاشا زماناً طويلاً كانا فيه صديقين وعلى الغالب حليفين . ولم تمض سنة على عهدة برلين حتى عقدت المانيا والنمسا محالفة لم يُنشر عنها شيء الا بعد مضي تسع سنين على عقدها ولكنها كانت سراً شائعاً لان العالم كان يدري بها قبل اذاعة امرها . وقد قيل عنها حينئذٍ انها ميثاق سلمي يراد به منع اقلاق الحالة السائدة في بلاد الدانوب والرين بما لروسيا من المطامع في البلقان او برغبة فرنسا في استرداد ولايتي الزاس ولورين . ثم انضمت ايطاليا اليهما سنة ١٨٨٦ فاصبحت المحالفة ثلاثية وهي المحالفة الثلاثية المشهورة

وما كادت المانيا تحالف النمسا حتى شرعت تحصّن حدودها الشرقية وتزيد سكك الحديد وتنظمها في ولايتي بومبرانيا وبوزن بهدؤ وثبات . فأجابت روسيا على ذلك بادخال تغيير تدريجيّ على نظام جيشها السلمي واماكنه بحيث يبقى معظمه على الدوام في الحاميات التي بين موسكو وحدود النمسا والمانيا . وفي اثناء ذلك ازدادت صلات بطرسبرج وباريس توثقاً وتحوّل اتفاقهما الودي محالفة هي المحالفة الثنائية المعروفة

وكان رجال السياسة والحرب في المانيا قد ايقنوا قبل امضاء المحالفة الثنائية بزمان طويل انه اذا قامت حرب بين المانيا وفرنسا على الرين فان روسيا تساعد فرنسا . ولم يبقَ في المانيا كاتب حربي الا كتب في الخمس والعشرين سنة الماضية في موضوع «الحرب على الحدّين» اي الحد الشرقي والحد الغربي من المانيا . وادركت المانيا من ذلك الحين ان لا غنى لها من الاستعداد لملاقاة فرنسا من جهة الرين وروسيا من جهة الفسنولا في وقت معاً اذا وقعت حرب بينها





الغراندوق نقولا

القائد العام للجيش الروسي

الجنرال رننكامبف الروسي

يتولى الجنرال رنكامبف قيادة الجيوش الروسية في بروسيا الشرقية وقد اشتهر في حرب روسيا واليابان واهداه القيصر سيفاً من الذهب مرصعاً بالالماس



كتيبة من فرسان القوزاق

وبين احداهما . وكانت خلاصة المذهب الالماني المشهور والمقبول لتلافي هذا الهجوم المزدوج ان روسيا ابطأ بطبيعة الحال من فرنسا في تعبئة جيوشها وحشدها للقتال . وان هذا الابطاء يمكن المانيا من توجيه معظم جيوشها على فرنسا املاً في حدوث معركة فاصلة هناك قبلما تشعر بضغط روسيا ضغطاً شديداً من جهة حدودها الشرقية . وان حماية هذه الحدود يمكن ان يعهد فيها عند ابتداء الحرب الى جزء صغير من خط الدفاع الاول يؤيده الاحتياطي ومعظم الجيش النمسوي. اما ايطاليا فغاية ما يرجّى منها ازالة قلق النمسا على حدودها من جهتها وتحويل جزء من الجيش الفرنسوي عن الميدان الاكبر لصدّ هجوم الجيش الايطالي على خط جبال الالب ومحاذاة ساحل الرفييرا

اما في روسيا فان رجال الحربية اقلّ مجاهرة بآرائهم واشد تكتماً منهم في غيرها ولكننا نعلم بعض الشيء عن رأي اركان الحرب الجيش الروسي في حرب تقوم بينهم وبين المانيا والنمسا مما كتبه الجنرال كوربتكين في كتابه «الجيش الروسي والحرب اليابانية» الذي نشر سنة ١٩٠٩ . فان الجنرال عين وزيراً للحربية سنة ١٨٩٨ وبقي في هذا المنصب حتى عين قائداً عاماً للجيوش الروسية في حرب روسيا واليابان سنة ١٩٠٤ . واول شيء عمله يوم تولى وزارة الحربية هو سعيه في اعداد تقرير ضافي الاذيال عن حالة الجيش الروسي ووسائل الدفاع على حدود الامبراطورية الروسية المختلفة وامكان التحول فيها من الدفاع الى الهجوم. وبين الفصول الواردة في هذا التقرير فصل مطوّل بسط فيه رأيه عما يمكن الجيش الروسي عمله اذا وقعت حرب بينه وبين جيوش النمسا والمانيا . وهذا الفصل ذو شأن خاص في هذه الايام والحرب قائمة بين الجيوش الثلاثة . ونحن مقتطفون شيئاً منه ولكننا نرى تمهيداً لذلك ان نورد ما قال احد مشاهير كتبة الانكليز بهذا الصدد تعليقاً على كلام الجنرال . وهذا الكاتب هو الذي اعتمدنا

عليه في معظم مادة الكتاب . قال :

«جرت عادة الكتاب في انكلترا عند كلامهم على مهاجمة حدود المانيا والنمسا من الشرق ان يقولوا ان هذه المهاجمة اسهل من السهل على جيوش القيصر الضخمة حتى بات تشبيه زحف هذه الجيوش وثقل وطأتها بثقل وطأة «وابور الزلط» من الامور العادية. يريدون بذلك انه اذا زحفت هذه الجيوش الى الامام اجتاحت كل شيء في وجهها وسحقت كل حجر عثرة في سبيلها. ولكن الجنرال كوربتكين اعترف صراحة في تقريره الرسمي الذي وضعه سنة ١٩٠٠ ان العقبات التي تعترض روسيا على حدودها الغربية هي من اجل العقبات شأناً . وقال ان فشل الجيش الروسي في زحفه عليها ليس ببعيد الاحتمال . وذلك لانه ادرك تمام الادراك جميع المصاعب التي يتجشمها جيش يعمل في تلك الناحية

ولا غنى لمن يريد فهم هذه القضية العسكرية وتتبع الحرب في هذه الجهة ان يعلم ما تستطيع روسيا حشده من العسكر فيها ويدرك طبيعة البلاد تمام الادراك. فان الجميع يعلمون ان روسيا اعظم بلاد اوربا مساحة ولكن قليلين يدركون ضخامة ملكها على شيء من حقيقته . ولبيان ذلك نقول ان السائح الذي يقصد موسكو من اوستند على ساحل اوربا الغربي يشعر عند بلوغه محطة فربالن على حدود المانيا وروسيا بان آخر سفره قريب لانه بلغ ارضاً روسية . ولكنه في الحقيقة وواقع الامر اقرب الى اوستند التي خرج منها منه الى موسكو . ومتى بلغها كان في منتصف الطريق الى آخر املاك روسيا الاوربية. ولا يذكر التاريخ غازياً زحف من الغرب على قلب روسيا واستولى على مدينة موسكو المقدسة قبل بونابرت او بعده ولكنه آب منها بالخيبة والفشل وكان نجاحه في الاستيلاء عليها ان صحت تسميته نجاحاً اول بشائر خرابه . فان ترامي اطرافها وسهولة تحويل مزارعها وحقولها قفاراً باحراق القرى والاهراء في وجه الجيوش الغازية

بولايتها في مأمن من كل غارة اجنبية . وليس فيها ما هو عرضة للهجوم عليه غير سواحلها وولايات الحدود

اما حدود روسيا الفاصلة بينها وبين النمسا والمانيا فطولها ١٥٠٠ ميل ومعظمها حدود بولندا الروسية . فان هذه الولاية بارزة غرباً من روسيا ومقتحمة بين أملاك المانيا الى الشمال والغرب واملاك النمسا الى الجنوب . وليس فيها حوائل طبيعية على حدّ من حدودها الثلاثة بل نقط اصطناعية اقيمت على طول خط الحدود لاقتضاء الرسوم الجمركية . والخلاصة ان الحدود سياسية لا طبيعية رسمت في فينا بشكل استبدادي بعد زوابع الحروب البونابرتية

ويخترق بولندا من الجنوب الى الشمال نهر الفستولا وهو منها بمكان الرين من غرب اوربا . ويصلح للملاحة الا في اشهر الشتاء اذ تجمد مياهه . وعلى جانبيه في وسط سهل بولندا العظيم مدينة فرسوفيا عاصمة بولندا القديمة ومركزها السياسي والعسكري والتجاري الآن . وليس في بولندا سوى مدينة اخرى كبيرة وهي مدينة لودز . وندرة المدن الكبرى خاصة من خواص روسيا كلها. فقد دل الاحصاء الاخير ان فيها ٢٤ مدينة فقط سكان الواحدة منها يزيدون على مئة الف نسمة . فهي بلد قرى زراعية وفيها من هذه القرى ١٥٠ الفاً بين الفستولا على حدها الغربي والاورال على حدها الشرقي

والقسم الشمالي من سهل الفستولا ملك بروسيا . وهو يفصل بين بولندا وبحر البلطيك وفيه بقاع البحيرات المازورية وهي بقاع كثيرة البحيرات والبرك والمستنقعات والحراج . وعلى حدّه الشمالي ثغرا دانتسك وكونجسبرج الواقعان على البحر البلطيك وهما معقلا السلطة الالمانية في تلك الارجاء . اما كونجسبرج فمحاطة بدائرة من الحصون العزيزة . وبينها وبين دانتسك قلعة بيلاو تحمي مواصلاتهما. واما دانتسك فمحمية كذلك بسلسلة من الحصون المنيعة

براً وبحصن وخسلموند الجديد بحراً . ويحمي طرق الفستولا وسككه الحديدية مدينتا درشو ومارنبرج الحصينتان . والفستولا نهر الماني في قسمه الشمالي يحميه حصن تورن حيث يفترق عن بولندا الروسية وهذا الحصن من حصون الطراز الاول . وفي منتصف الطريق بين تورن واستحكامات دانتسك على دلتا الفستولا حصن جرودنز

وهذا الخط المحصن على الفستولا يؤلف هو ونقطة كونجسبرج الامامية حدّ بروسيا الشرقية . فان البلاد الواقعة امام هذا الخط صعبة المراس على كل غازٍ يروم دخول بروسيا في فصل الخريف . وخلف البحيرات والحراج المازورية سهل منبسط يمتدّ نحو فسنولا الاسفل وهو مشهور في التاريخ بمعركتي ايلو وفريدلند اللتين جرتا فيه وانتصر نابوليون فيهما . والتاريخ يروي انه بينما كان نابوليون يحارب هنالك في فصل الخريف وقد سالت البطاح بالامطار عقب سقوط المطر سقوط الثلج وعقب سقوط الثلج ذوبانه فباتت البلاد كلها حمأة وحل حتى استحال سير الجنود فيها . وتعذر جلب الطعام لهم لان مركبات النقل كانت تغوص في الوحل فاضطر العسكر الى تركها مكانها

وحصن تورن الذي ورد ذكره آنفاً هو من سلسلة الحصون الشمالية والحصون الوسطى المقابلة لبولندا الروسية . وهذا الخط يمتد جنوباً الى حصن بوزن العظيم وحصون جلوجو وبرسلو ونيس في سيليزيا . والحصون النمسوية واقعة على ميمنة هذه القوس العظيمة المطرزة بالحصون. واعظمها حصناً كراكو وبجميسل في غاليسيا . اما كراكو فكانت فيما سلف المدينة الثانية في مملكة بولندا القديمة. واما بجميسل فنقطة حربية صرفة او قرية حولت حصناً

ولبست سلسلة الحصون هذه هي خط الدفاع الوحيد على الحدود بل ان المانيا والنمسا اقامتا في السنين الاخيرة كثيراً من الاستحكامات بين تلك الحصون

الدائمة وبالغنا في تنظيم سكك الحديد واتقانها وهذا اهم من الوجهة العسكرية. فقد مضى الزمان الذي كان رجال الحرب فيه يعدون الحصون والقلاع كافية لحماية الحدود . فان الدفاع المجرّد مقضي عليه بالفشل العاجل او الآجل والهجوم هو خير الوسائل لكف، عدوّ مهاجم والضرب خير من الاتقاء . ثم ان انشاء نظام سكك حديد منقن حذاء حدّما وعلى مقربة منه يمكن الجيش المدافع من حشد الجند على عجل في اية النقط والتحول من الدفاع الى الهجوم

وقد اطال الجنرال كوربتكين الكلام (في تقريره الذي وضعه عن الحالة العسكرية على حدود روسيا وبولندا) في النظام العجيب الذي لسكك حديد المانيا والنمسا وقال انه العامل الاعظم في قوتهما وقابله بنظام سكك حديد روسيا ليبين تأخر روسيا عنهما من هذا القبيل وما يكون لاعدائها من المزية عليها في حرب تنور على حدود بولندا . وبعد كتابة تقريره اصلحت روسيا سكك الحديد على هذه الحدود بعض الاصلاح ولكن الالمان والنمسويين لم يمكثوا حيث كانوا بل زادوا سككهم اصلاحاً واتقاناً. وعليه لا تزال نسبة النظامين الواحد الى الآخر مثلما كانت منذ ١٤ سنة اي منذ كتب التقرير»

هذا ما كتبه الكاتب المشار اليه تمهيداً لما ورد في تقرير الجنرال كوربتكين بهذا الشان . واليك ما قاله الجنرال :

«ان المانيا بما انفقت من المال الكثير اصبحت مستعدة تمام الاستعداد بجميع معاني الكلمة للزحف سريعاً على حدودنا بجيش عدته مليون رجل . فان عندها سبعة عشر خطاً من خطوط سكك الحديد ممتدة الى حدودنا وهي تمكنها من ارسال خمس مئة قطار مملوءة عساكر كل يوم الى تلك الحدود ومن حشد معظم قوتها المسلحة هناك بعد اعلان الحرب بايام قليلة . وعندها اكثر مما عندنا بكثير من سكك الحديد الخفيفة والمدافع والادوات الهندسية وخصوصاً ما كان منها

للتلغراف وغير ذلك . وقد عنيت مزيد العناية باعداد ولايات الحدود للدفاع والثبات عليه ولا سيا ولايات بروسيا الشرقية.فان حصون تورن وكونجسبرج وبوزن وهي من حصون الطراز الاول تحسن كل سنة والمعسكرات الحصينة تقام في النقط المهمة ومواد البناء معدة لتحصين مواقع الميدان على عجل تحصيناً شبه دائم . ثم ان وسائل الدفاع اقيمت على معابر الفستولا وحول كل مدينة وقرية كبيرة . والخلاصة ان اهل البلاد كلها يستعدون لنزاع وطني عظيم

ثم ان النمسويين ايضاً تركونا خلفهم بمراحل كثيرة في امر سكك الحديد . فان عندهم ثمانية خطوط ممتدة الى الحدود يستطيعون بها ارسال ٢٦٠ قطاراً كل يوم اذا شاؤوا في حين انه ليس عندنا نحن سوى اربعه خطوط ممتدة الى الحدود عينها . ولما كانت جبال كرباتيا واقعة وراء الجنود التي يحشدونها على الحدود الروسيه كانت هذه الجبال تعدّ فيما مضى عقبة في سبيل تقهقر تلك الجنود وفي سبيل المواصلات بين غاليسيا وسائر النمسا . ولكنها اخترقت في السنين العشر الماضيه بخمس سكك حديد واعدت المعدات لمدّ ثلاث سكك اخرى» انتهى كلام الجنرال كوربتكين .

هذا وان سكك الحديد الممتدة الى الحدود متصل بعضها ببعض بخطوط اخرى ممتدة فيما بينها تسهيلاً لحركات العساكر على حذاء قوس الحصون الواقعة بين بجميسل ودانسك وكونجسبرج . ومما يذكر في هذا البيان ان شرقي غاليسيا الاقصى ترك من خطة التحصين وسكك الحديد المشروحة آنفاً حتى ان مدينة لمبرج العظيمة لم تحصن تحصيناً دائماً

فيرى مما تقدم ان لخط الحدّ الالماني والنمسوي من جهة روسيا مزايا عظيمة للهجوم والدفاع معاً . اما من جهة الهجوم فان في مكنة الجيوش الالمانية والنمسوية ان تزحف على بولندا الروسية من جهتين مختلفتين وتلتقي في نقطة معينة

داخلها . واما من جهة الدفاع فان روسيا مضطرة اذا شاءت الزحف بجيوشها من احدى واجهات بولندا الثلاث ان تجهز جيوشاً اخرى للوقوف في واجهتي القتال الاخريين امام الالمان والنمسويين . فاذا انهزمت جيوشها في واجهة من هذه الواجهات الثلاث توقف الهجوم كله بطبيعة الامر

ولننظر الآن كيف دبرت روسيا التدابير للدفاع عن بولندا ولمقابلة هجوم النمسا والمانيا بمثله فنقول :

ان الى شرقي سهل بولندا الواسع بقعة كبيرة ذات برك ومستنقعات يتخللها نهر بريبت وفروعه الكثيرة . ومساحة تلك البقعة الغامرة نحو ٣٠٠ الف ميل مربع . وقد عملت فيها اعمال صرف كثيرة سنة ١٨٩٤ فجفف بعض اجزائها ومدت سكك الحديد فيها ولكن الجيوش لا تستطيع عملاً في الاجزاء الغامرة منها فهي بمثابة حاجز يشطر روسيا الغربية شطرين الواحد شمالي والثاني جنوبي. والى جنوب المستنقعات منطقة من الارض تمتد فيها الطرق وسكك الحديد الواصلة بين جنوب روسيا وبولندا . وتحرس هذه المنطقة ثلاثة حصون هي دوبنو وروفنو ولسك . والى غربي المستنقعات سهل بولندا نفسه وفيه حصون اعظم من الحصون المتقدم ذكرها وهي مركز قوة روسيا في تلك الجهة والقواعد الامامية لحرب مع النمسا والمانيا . وهذه الحصون هي فرسوفيا وايفانجورود وبراست لتوسكي

اما فرسوفيا فبقيت حتى ثورة سنة ١٨٦٣ الحصن الوحيد في بولندا . وكان الغرض الاهم من قلعتها ان يقيم فيها الحامية الروسية المرسلة لارهاب اهل المدينة. ولما تولى اركان حرب الجيش الروسي تنظيم حصون الحدود حولت فرسوفيا حصناً حديث الطراز وحوله منطقة من الحصون الصغرى. وبنيت حصون مثلها في ايفانجورود وبراست وبني حصن آخر عند ملتقى نهر الفستولا ونهر ناريف

بفرعه الاكبر وذلك على بعد بضعة اميال من فرسوفيا شمالاً بغرب . واسم هذا الحصن نوفوجورجفسك

وقد حصن خط نهر ناريف الواقع شرقي غابات الحدود لحمايه مواصلات الحصون المذكورة مع شمال روسيا ولحماية البلاد الواقعة شمالي وادي نهر بريبت من غزوة المانية بطريق بروسيا الشرقية . ثم ان ضفاف النهر كثيرة المستنقعات بحيث يصعب عبوره الا من امكنة معروفة مدت فوقها الكباري واقيمت حولها الاستحكامات وهي نوفوجورجفسك وزجري وبلتسك وروزان واوسترولنكا . ويمتد خط الدفاع شمالاً بشرق الى المدن المحصنة الاتية اسماؤها وهي لومزا واوسوفتز وبيلوستوك وجرودنو وكوفنو . والاخيران منهما على نهر نيمن

وهذه الحصون تحمي ايضاً خطي سكة الحديد المتدين من الشمال الشرقي الى بولندا . ويمكن استخدام الخطين لحشد الجنود في اية النقط التي تختار للزحف على بروسيا الشرقية في جهة كونجسبرج . وهنا تستطيع روسيا ان تزحف على بروسيا الشرقية من جهتين مختلفتين اي من جهة نهر نيمن ومن جهة حصون بولندا جنوباً وذلك اذا استطاعت جمع جيوش كافية في تلك الناحية وبالسرعة اللازمة

وقبل تقدير ما تستطيع روسيا جمعه من الرجال للهجوم يجدر بنا ان نقول كلمة عن تأثير الحالة البحرية في الحرب البرية . وظاهر انه لو كان زمام البلطيك في يد روسيا لامكنها الاقدام على مهاجمة السواحل الالمانية والاعمال الحربية براً في وقت واحد فيفدح الامر في عين القواد الالمان الذين وكلوا بالدفاع عن المنطقة الطويلة الواقعة بين حدود روسيا وسواحل البلطيك . ولكن زمام البلطيك كان من مفتتح الحرب ولا يزال حتى كتابة هذا الفصل في يد المانيا بفضل اساطيلها وبفضل ما ابدت روسيا من التراخي في ترميم اسطولها الذي حطم

كله تقريباً في حربها مع اليابان . فلما نشبت الحرب الحاضرة لم يكن في البلطيك اسطول روسي يطيق نزال الاساطيل الالمانية

اما الاساطيل الانكليزية فلها من المهام في البحر الشمالي ما يشغلها عن كل شاغل ويزيد . وغني عن البيان ان قسمتها قسمين وتوجيه قسم كبير منها الاجتياز معابر البلطيك الغاصة بالالغام ومقاتلة القوة التي تستطيع المانيا حشدها بسرعة اعظم بفضل ترعة كيال ـ هذا كله غاية ما يشتهيه الالمان ويتمنونه . فلذلك لم يكن ثمة مندوحة من ابقاء زمام البلطيك في ايديهم . فان اسطول روسيا محمي بحصون كرونستاد وقلاعها وخير ما يؤمل منه حماية الطريق المؤدي الى بتروغراد ومنع الالمان من الاغارة على فنلندا . ثم ان وجود زمام البلطيك في ايدي الالمان اضطر روسيا ان تبقى قوة كبيرة في فنلندا وفي جوار بتروغراد . وبذلك ساعد الاسطول الالماني على حماية حدود المانيا الشرقية اذ اكره الروس على تخفيض القوات التي ندبوها لمهاجمة تلك الحدود

وليست مهمة الجيوش الروسية محصورة في الدفاع عن حدود روسيا الغربية ولا في مهاجمة حدود المانيا والنمسا بل تتناول ايضاً الاقدام على تلك المهاجمة بقوة عظيمة وباسرع ما يمكن من الوقت فتحبط الخطة الالمانية التي تدور على سحق فرنسا اولاً ثم نقل قسم من الجيوش الالمانية الى الحدود الشرقية . وعليه كانت روسيا ترمي من مبدأ الحرب الى الاشتداد على المانيا شرقاً لتضطرها ان تحوّل قسماً من جيوشها التي وجهتها على فرنسا الى الشرق في الاسابيع الاولى من الحرب وبذلك تساعد الحلفاء على معركة فاصلة في الميدان الغربي

ولننقل الان كلمة في عدد الجيوش التي تستطيع روسيا حشدها على انهر نيمن ونارف وفستولا :

ان قوه روسيا الحربية اعظم قوة في اوربا ان كان العدد وحده هو مقياس

العظمة . ومع ذلك غالى الناس كثيراً فيهذا العددحتى لقدقالوا في اوائل الحرب ان روسيا تعبىء ثمانية ملايين رجل . ولكن ليس بين العارفين واحد قدر قوتها بمثل هذا القدر الهائل

لروسيا ثلاثة جيوش : جيش اوربا.وجيش سيبيريا والشرق القاصي.وجيش القوقاس واسيا الوسطى . والخدمة العسكرية الزامية فيها ولكن لا يفهم من ذلك ان كل روسي يخدم في الجيش او يتمرن تمرن الجنود . فان الذين يليقون للخدمة العسكرية كل سنة هم اعظم كثيراً مما احتاطله النظام العسكري الحالي وعليه يختار «انفار» القرعة كل سنة اخياراً من الذين يبلغون العشرين في تلك السنة . ثم يخدم «النفر» ثلاث سنين في المشاة او المدفعية او اربع سنين في الخيالة او المهندسين . وبعد ذلك يحال الى الاحتياطي حيث يبقى ١٤ او ١٥ سنة فيبلغ بذلك مجموع خدمته العسكرية في الصف الاول ١٨ سنة

ومتى اتمّ مدة الخدمة العاملة والاحتياطية كان عمره ٣٨ سنة فيحال الىالجيش المحلي (المليشيا) حيث يقيم خمس سنوات اخرى فتكون سنّه حينئذ ٤٣ فيطلق سراحه ويصبح مطلقاً من كل خدمة عسكرية . اما قوزاق الجنوب فيخدمون تحت نظام عسكريآخروخلاصته ان القوزاقي قابل للخدمة العسكريةما دامت صحته وقوته تمكنانه من حمل السلاح . فلو امكن اخذ جميع «انفار» القرعة العسكرية كلّ سنة ونظمهم في سلك الجيش لبلغ عددهم ٦٠٠ الف رجل او يزيد . وهؤلاء يجب تسليحهم وتجهيزهم بكل ما يلزمهم وتمرينهم على حمل السلاح . وفي ثلاث سنوات او اربع يزيد عدد الذين تحت السلاح منهم او عدد جيش السلم على مليوني رجل . ولكن ليس بين الامم امة الآ وينوء بها هذا الحمل . وواقع الامر ان جيوش روسيا السلمية بلغت كلها قبل اعلان الحرب نحو ١،٧٠٠،٠٠٠ رجل . وهو عدد كبير يفوق المعتاد والسبب في ذلك ان روسيا

ابقت تحت السلاح كثيراً من الذين كانت مدة خدمتهم العسكرية قد انتهت

والجيش الروسي الذي يحسب له حساب في اوائل حرب تثار في بولندا انما هو جيش اوربا وذلك بسبب بعد الجيوش التي في القوقاس واسيا الوسطى وسيبيريا

اما الصف الاول من هذا الجيش فمؤلف من ٢٧ فيلقاً وبعض الالويه من حملة البنادق و٢٠ فرقةمن الخيالة.وبين هذه الفيالق فيلقان ينتقى رجالهما من ذوي القامات الطويلة ويتألف منهما فيلقا الحرس في بتروغراد وفي موسكو .واما الفيالق الاخرى فيعبأ كل من ولاية او عدة ولايات . ولكن لما كان معظم الجيش السلمي يقيم غربي موسكو فان كثيراً من هذه الفيالق لا يقيم في الولايات التي يعبأ منها . وكلا فيلقي الحرس مؤلف من ثلاث فرق للمشاة . اما الفيالق الاخرى ففي كل منها فرقتانَ في زمن السلم وثلاث في زمن الحرب . وعدد الفيلق في زمن الحرب ٤٥ الفاً . واذا الحقت به فرقة من فرق الفرسان اصبح عدده ٥٠ الفاً او نحو ذلك

وسلاح الفرسان النظامية مؤلف مو عشرين فرقة وهي اثنتان في الحرس وخمس عشرة في الجيش واثنتان مختلطتان من القوزاق وغيرهم وواحدة من القوازق وحدهم . ومجموع هذا السلاح ٨٠ الف رمّاح . وعند روسيا غيرهم رديف من القوزاق لان القوزاق يخدمون في الجيش ما داموا قادرين على حمل السلاح كما تقدم . وهم يتمرنون على الفروسية بعض التمرن في بيوتهم والبعض الآخر في مراكز التمرين العسكرية . ومن القوزاق مدفعية ومشاة

وفي جنو د الصف "١" ل صنفان آخران ـ صنف الاحتيـاطي وصنف الحاميات . اما الاول فليس احتياطياً بالمعنى المفهوم من الكلمة بل رجال يتخذون اساساً لتأليف فرق من «الانفار» الذين لا ينظمون في الصف الاول عند التعبئة

العامة . واما الثاني فمؤلف من جنود يقيمون على الدوام في القلاع الداخلية وقلاع السواحل ويكونون اساساً لتأليف فرق اخرى في وقت التعبئة . وليس ينكر ان عدداً هائلاً من الاحتياطي موجود فعلا لا اسماً فقط وذلك نظراً الى طول خدمتهم في الجيش . ولكن تأليف جيش يعدّ بالملايين لا يتم بمجرد اصدار الاوامر العالية وان كان الرجال موجودين وكانوا قد تمرنوا على حمل السلاح مدة انتظامهم في الجيش . وجهد ما يمكن في بداءة الامر هو تكميل الفرق المشار اليها آنفاً وتجهيزهم بالسلاح والذخيرة وسائر ما يلزمهم ثم تسدّ بهم الثلم التي يثغرها القتال في صفوف الجيش.ومن بقي منهم ينظمون في الجيش على التوالي

واذا عبّىء الصف الاول كله اجتمع من تعبئته نحو ثلاثة ملايين عسكري معهم ستة آلاف مدفع ولكن هذه القوة لا يتيسر حشدها حالاً بسبب عدم اتقان سكك الحديد وتنائي المسافات . والمرجح انه يمكن ارسال مليون ونصف من الجند الى الميدان في الشهر الاول من الحرب . ثم ارسال مليون آخر على جناح السرعة . ولكن لا يمكن ارسال جميع الجند التابعين للصف الاول الى الميدان اذ يستحيل تجريد فنلندا وولايتي بتروغراد وموسكو من جميع الجنود النظامية. ولا بدّ ايضاً من ابقاء عدد عديد من جنود الصف الاول في حاميات بولندا قبل جلاء الحالة في ميدان القتال تمام الجلاء

اما جنود الصف الثاني فيستطيعون مساعدة الجيش حالاً اذا فاز على خصومه في بدء الحرب ومكنه هذا الفوز من دخول ارضهم . ومساعدتهم اياه تكون من جهتين . الاولى ان جنود الحاميات والقلاع الذين يبلغ عددهم بعد التعبئة نحو ربع مليون يمدون جيش الميدان بقطارات الحصار وببعض المدافع الضخمة ويرسل منهم حاميات لاحتلال القلاع التي تؤخذ من الاعداء . والثانية ان جنود المليشيا

او التريتوريال وعدتهم ٥٠٠ الف رجل يمكن استخدامهم لحماية خطوط المواصلات وعليه يمكن ابقاء جيش الميدان على معظم قوته اولاً بامداده من الاحتياطي الذي لا تنفد جعبته . وثانياً بعدم اضطراره الى ترك فصائل في اثره وهو يتقدم الى امام . فترى من ذلك ان جنود الصف الثاني وجمهور الاحتياطي الكثيف تصيّر الجيش الروسي آلة مخيفة للقتال . واسلم تقدير لجيش الميدان هو مليونان يتبعهما نصف مليون من الجنود . ومهمة هؤلاء امداد الجيش الاكبر عند الاقتضاء والقيام بجميع الاعمال خلف خطّ القتال

وفي الحروب الطويلة يمكن زيادة الجيش العامل زيادة عظيمة . ويقدرون انه بعد اتمام التعبئة يبقى مليونان من الاحتياطي والتريتوريال تؤخذ منهم جنود الميدان وجميعهم ممّن خدم في الجيش قبلاً . وزد على هؤلاء سبعة ملايين رجل بلغوا سنّ العسكرية ولكنهم لم ينتظموا في سلك الخدمة . فهذه الجموع الكثيفة هي التي حملت بعض الكتبة على التحدث بجيش عدته ستة ملايين او ثمانية يلبون «القيصر الابيض» اذا نادى مناديه يوم الحفيظة حي على القتال . ولكن يجب ان لا يبرح عن البال انه يعسر جداً وجود قواد من اهل الكفاءة وضباط وصف ضباط لمثل هذا العدد الهائل وانه يكاد يستحيل تجهيزهم بما يلزم من المدافع ومن يلزم من المدفعية الماهرين والمدربين على اطلاق النار . بل ان روسيا تجد صعوبة ذات بال في تدبير الضباط اللازمين لغير الصف الاول من الثلاثة الملايين او الاربعة الذين تستطيع حشدهم تدريجاً في ميدان القتال . ولا سيما ان حال التعليم فيها متأخر جداً حتى انك لا تجد في كثير من الولايات سوى ٥٠ بالمئة من البالغين يحسنون القراءة

وليس ثمة ربح حقيقي من وجود ملايين كثيرة من الجنود في ساحة الحرب اذا صرفنا النظر عما تقدم من الاعتبارات . فان الكثرة لا تنيل الغلب في الحرب لانها ليست هي والكفاءة شيئاً واحداً . واذا سيقت الجماهير المتدربة بعض التدريب

الى ميدان الحرب زادت مصاعب امدادهم بالزاد والذخيرة الكافية اضعافاً مضاعفة وربما افضى الامر الى العجز والتقصير من هذا القبيل . ولو فرضنا عدم وقوع عجز او تقصير في تجهيزهم بجميع ما يلزم من الحاجات لما وجد في الارض ميدان يسع ذلك البحر الزاخر من الرجال . ولا ريب ان وجود القديديين الكثيرين والالوف المؤلفة من الذين لا عمل لهم وراء خط القتال هو في الحقيقة مضايقة لا ربح . وربما كان في ازدحام الجند على خط القتال هلاكهم. وقد تجيء ساعات يصحّ فيها قول «اتيلا» المأثور : كلما تكاثف العشب سهل خضده »

لا ينكر ان الجندي الروسي اداة حسنة للقتال . فانه مطيع كثير الصبر على المحنة عظيم الاستهانة بالموت سريع الاقتناع بان الحرب شيء من الجهاد . وهذا ما يحمله على العمل بحمية هادئة وجأش رابط لا بغيرة صخّابة فارغة. وهو شديد الميل الى القتال بالسلاح الابيض طبقاً لقولة سوفاروف المشهورة : ان الرصاصة حمقاء طائشة والعبرة بالحراب». وان مليوناً ونصف مليون من هذه الرجال هم خير ما يذخر للقتال

ولكن تأتي هنا مسئلة القيادة . ولا مناص لنا من الاعتراف بان القيادة والادارة في الجيش الروسي خيبتا الآمال في الحروب الحديثة . ففي حرب روسيا وتركيا نجا الجيش الروسي من الهلاك بشق النفس. وفي حرب روسيا واليابان كانت القيادة والادارة سلسلة فشل وخذلان لم يخفف سوء وقعهما ومغبتهما غير بسالة الجنود . وقد بذلت روسيا الجهد بـ . حرب اليابان في اصلاح ادارة الجيش ورفع مستوى التهذيب العسكري بين الـ . ولكن ثماني سنين ليست بالكثيرة لاحداث تغيير عظيم في مثل تلك الاد ، الهائلة الكبر

ولما نشبت الحرب الحالية كان في روسيا ثلاثة قواد ه . هل الصيب الطائر : رننكمب من جنرالية الفرسان واحد قواد الجيوش الصغرى تحت كوربتكين

في الحرب اليابانية . وسمسونوف وهو من الذين شهدوا حرب اليابان واشتهر بانه في الصف الاو ن المنظمين العسكريين . ورسكي وهو جندي يطبق العلم على العمل وله ح حسن في تعليم فنّ الحرب بمدرسة الضباط

وهؤلاء الثلاثة ارسلوا الى الميدان عند شبوب نار الحرب.ومن حسن حظ روسيا ان جيشها يحارب جيشي المانيا والنمسا غير كاملين.اما المانيا فانها اضطرت ان ترسل معظم جنود الصف الاول الى فرنسا ولم تستطع ان تحشد على حدودها الشرقية غير خمسة فيالق نظامية على الكثير اي بين ٢٠٠و ٢٥٠الف رجل يعززون من الاحتياطي والصف الثاني . واما النمسا فقد اضطرت ان تترك جيشاً كبيراً لمقاتلة السربيين وحراسة حدودها الجنوبية احتراساً من ايطاليا وحفظ الامن في ولاياتها الصقلبية . ثم ان جيش الصقالبة والتشك الذي وجهته الى ميدان القتال في غاليسيا هو محل شبهة وريبة وقد يكون سبب خطر وضعف . وعليه ترى روسيا نفسها في حرب مع خصوم لها عليهم مزايا كثيرة فلا عجب اذا عللت نفسها باكراههم على التزام خطة الدفاع من بداءة الحرب في حين انها هي تعمد الى الهجوم واجتناء فوائده الجمة

وقد جنت روسيا ربحاً آخر لم تكن تنتظره . فقد شاع وذاع حتى بين الحلفاء انفسهم انها لا تستطيع حشد جيش كبير في الميدان قبل اواسط سبتمبر ولكن لم ينتصف شهر اغسطس حتى عزز جيش بولندا تعزيزاً كثيراً وكان مستعداً للعمل حالاً واجتمعت كتائب اخرى كبيرة على ميمنته حذاء خط ناريف ونيمن وعلى ميسرته جنوبي وادي بريبت متهددة حدود غاليسيا الشرقية . والفضل في ذلك عائد على ما بذله اركان حرب الجيش ورجال سكك الحديد من الهمة والجهد وعلى زيادة بعض الجيوش قبل الازمة الى اعظم ما تكون في زمن السلم

فلما اعلنت الحرب زحفت عساكر القيصر في ستة جيوش على القليل كما

يؤخذ من انباء مجرى الحرب . فعلى الميمنة زحف جيشان من وادي نيمن ووادي ناريف الاول يؤم كونجسبرج بطريق البحيرات المازورية وكان زحفه عليها اسهل مما يكون عادة بسبب اشتداد القيظ في صيف ١٩١٤ . والثاني على ميسرته بطريق بلاد الغابات الواقعة غربي خط ناريف

وفي القلب زحف جيش ثالث نحو حدود ولايتي بوزن وسيليزيا معتمداً على حصون بولندا الكبيرة التي ورد ذكرها سابقاً . وزحف جيش رابع حذاء نهر فستولا لحماية ميسرة الثالث من تهديد النمسويين لها من هذه الجهة . على ان النمسويين انفسهم وجدوا ميمنتهم مهددة عند زحفهم حذاء فستولا بجيش روسي خامس زحف الى غاليسيا الشرقية وسادس زحف على بيكوفينا . وهذان الجيشان هما ميسرة الجيش الاكبر

فيرى من وصف مراكز الجيوش ان المعضلات التي امامها كثيرة والمواقف حرجة اذ ليس بمستبعد ان يهدد موقف جيش من هذه الجيوش لا بصده هو عن الزحف بل بصد الجيش الذي يليه . على ان وجود حصون عزيزة في قلب بولندا هو للجيوش بمكان محور تدور عليه اعمال الحرب المركزية

ولا ريب ان نجاح الاعمال الحربية في بدء كل حرب هو ذو وقع عظيم القيمة في نفوس الجيوش المنصورة . وفي هذه الحرب كان امل الروس شديداً ان ينتصروا على اهون سبيل في ابتداء القتال . وكانوا موقنين على القليل انهم يوغلون في ارض اعدائهم ويمعنون من غير ان يلقوا مقاومة شديدة . ولم يكن ينتظر ان الجيوش الالمانية تقاوم مقاومة شديدة امام خط الحصون الممتدة على محاذاة الفستولا الاسفل وفي اطراف دلتا الفستولا (اي كونجسبرج ودانتسك) وذلك بالنظر الى الضعف الذي وجدت نفسها فيه تحت الظروف التي افتتحت الحرب بها (اي انقسامها شطرين الواحد في الميدان الشرقي والاخر في الغربي) وكان



السيل الجارف من روسيا — صورة الجنود الروسية وهي زاحفة الى ساحات القتال

من المؤكد ان النمسويين لا يثبتون طويلاً في غاليشيا الشرقية وان وقفتهم الاولى التي يبدون فيها ثباتاً وعناداً لا تكون قبل بلوغهم جوار بجميسل

وقد املت النمسا ان تزيد قوتها وتضيف الى العقبات التي امام الجيوش الروسية بايقاظ فتنة بين اهل بولندا . فان طليعة جيشها الذي اعدته في غاليشيا للزحف على بولندا مؤلفة من فيلق من الجنود البولندية. وقد اعدت كل ما يلزم من السلاح والذخيرة للفتنة المتوقعة وارسلتها الى الحدود . واصدرت جمعيات غاليشيا وبوزن البولندية منشوراً الى اخوانهم في بولندا الروسية حذرتهم فيه من اثارة فتنة ما حتى تصل طليعة الجيش منتصرة . وحينئذ يعطون كل ما يشاؤون من السلاح

وبازاء هذا العمل اصدر القيصر منشوراً وعد فيه اهل بولندا مواعيد كبيرة مثل منحهم الاستقلال الاداري بعد انتصار جيوشه على المانيا والنمسا. ووعدهم ايضاً فوق هذا الحكم الذاتي وحرية القانون والمذهب واللغة باعادة النظر في تخطيط ارض بولندا القديمة وباضافة ولايتي بوزن غاليشيا اليها فتعيش بولندا بلداً مستقلاً في ظل التاج الروسي . وقد كان لهذا المنشور تأثير كبير في نفوس اهل بولندا فانه عرقل جميع ما بذل من المساعي لاثارة فتنة بالتفريق بين الزعماء البولنديين . وكثيرون منهم رأوا في انتصار روسيا توطئة لتجديد حياتهم الوطنية ومعيشتهم القومية

الفصل السادس عشر

الطيران في الحرب

استعمال الطيارات سابقاً في الحرب — الغرض من الطيارة الجديدة — اصناف البلونات والطيارات — صنف «تسبلن» — تمرين الطيارين — استعداد الالمان سراً — الطيارات والبلونات في الحروب البحرية — الخ الخ

اظهر ما في هذه الحرب التي تعدّ اعظم حروب الانسان انها شهرت في عناصر ثلاثة اليابسة والماء والهواء . نعم ان البلونات والطيارات استعملت كثيراً في الحرب الطرابلسية ـ استعملها الطليان لتعيين مواقع اعدائهم ولكن ذلك لم يكن حرباً في الهواء لان العثمانيين لم يستعملوها

وفي حرب البلقان الاخيرة استخدمت الطيارات بعض الشيء للاستكشاف ولكنها كانت قليلة جداً ولم يكن الطيران مما يصحّ نعته بالعسكري كما تفهمه جيوش الدول المتحاربة الآن

كانت فرنسا والمانيا رائدتي الحرب الهوائية وانكلترا ثالثة لهما . ولما بدأت هذه الحرب كانت الدول الكبرى كلها مجهزة بسفن هوائية من بلونات مسيرة وطيارات عادية وطيارات اخرى مائية تطير في الهواء وفيها جهاز يمكنها من الجري على الماء ايضاً عند الاقتضاء . اما البلونات المسيرة الكبيرة التي تستخدم لاعمال الهجوم بوجه خاص وتضطر بناءً على ذلك ان تحمل قنابل ثقيلة ووقوداً كثيراً فقد فاقت المانيا غيرها بها . فان اكبر بلون مسيّر عند فرنسا لا يزيد طوله على ٣٣٦ قدماً في حين ان عند المانيا من هذا النوع ما يزيد طوله على ٤٥٠ قدماً

واشهر البلونات الالمانية البلونات المعروفة باسم «تسبلن» نسبة الى الكونت نسبلن صديق الامبراطور . وهو شيخ طاعن في السن اشتهر في حرب سنة ١٨٧٠ بجرأته على الاستطلاع مع الفرسان. واكبر البلونات المنسوبة اليه يسع ٨١٢ الف قدم مكعبة من الغاز وطوله ٥٠٠ قدم او اكثر وقطره ٥٠ قدماً فقط . فهو كثير الطول قليل العرض والغرض من ذلك تخفيف مقاومة الهواء له ما امكن في خلال مسيره. وفيه اربعة محركات اثنان في مقدمه واثنان في مؤخره وقوة الواحد منها تعادل قوة ١٨٠ حصاناً الى ٢٠٠ حصان . وجرمه مصنوع من معدن الالومنيوم المعروف بخفته وقلة ثقله النوعي بالنسبة الى المعادن الصلبة. ومن مميزاته انه يمكن نصب مدفع على ظهره. فاذا طار فوقه شيء يهدده رآه الذين على الظهر فانذروا الربان والنوتية بالخطر . على ان التجارب التي عملت فيه قبل الحرب دلّت على ان الاهتزاز الناشىء عن اطلاق المدفع من على ظهره يعرضه لخطر السقوط. ولكن الحروب تضطر الناس الى اقتحام اخطار لا يقتحمونها في زمن السلم الى ان يتيسر اتقاؤها بعد طول التجربة والبحث

واسرع بلون من هذا الطراز يقطع ٥٢ ميلاً في الساعة مستقلاً عن الرياح . وهو يستطيع ان يصول ويجول للعمل في ميدان قطره ٢٤٠٠ ميل اي على مسافة ١٢٠٠ ميل من مركز الميدان الى كل جهة . وبعبارة اخرى لو فرض ان قاعدته كيال او هليجولند في المانيا لاستطاع الذهاب الى دبلن او بلفاست في ارلندا والاياب منهما في جولة واحدة . وحمولته خمسة طنّات فقط بما في ذلك ثقل الرجال والوقود والزيت والماء. فثقل الميرة والذخيرة لا يمكن ان يزيد والحالة هذه على طن ونصف . ومعظم ارتفاعه ١٠ آلاف قدم فهو لذلك يفوق سائر البلونات المسيرة في الطيران صعداً

على ان له عيوباً كثيرة منها انه لا تمكن اطارته الا من قاعدة خصوصية به .

ومنها انه يحتاج الى ايدٍ كثيرة لاطلاقه وادارته في صعوده ونزوله . فقد وجد في احد البلونات من هذا النوع ٣٠ رجلاً . واذا ثارت زوبعة في اثناء طيرانه بات صعب المراس عسر القياد ولا يمكن تفريغ الغاز منه كسائر انواع البلونات. وان نسيماً معتدلاً يخطر على احد جانبيه يضغطه بقوة عشرات الطنات فيترنح بذلك ترنح الشارب الثمل ويتمايل رجاله من جانب الى جانب وهم يحاولون تسكينه واعادة موازنته اليه.فلهذا السبب هلك بعض هذه البلونات قبل الحرب

ومعظم البلونات العادية تحمل ماءً فاذا اريد الصعود بها صب الماء منها فخفت وصعدت . ولكن معظم البلونات المسيرة تطفو او ترسب تعلو او تهبط بجهاز فيها كأن يكون الجهاز لولباً او دفة كدفة السفينة

وقد ادركت الدول العظمى كلها انه اذا اريد ان يكون هذا السلاح فعالاً وجب ادخال جميع اصناف السفن الهوائية اليه فان دائرة عمل الطيارة هي نصف دائرة عمل البلون المسير تقريباً وقدرتها على الحمل اقل من قدرة البلون. واهم من هذين الامرين ان الطيارة مضطرة ان تسير في الجوّ على الدوام والا سقطت بخلاف البلون فانه يحوم او يتعسّف في الجوّ على غير هدى من غير ان يستخدم قوة في ذلك او يهبط الى تحت . اما الطيارة فاقدر من البلون على مقاومة احداث الجوّ واسرع في المسير . فانه ليس بين البلونات المسيرة ما سرعته ميل في الدقيقة مستقلاً عن الريح . ولكن كثيراً من الطيارات قطع ميلين في الدقيقة وبقي كذلك مدة ساعة كاملة . وكانت الطيارة قبل سنة ٩١٢ تستخدم في النهار فقط اما البلون المسير فمعظم عمله في الليل . ولم يبلغ البلون علوّ ١٠ آلاف قدم الا من عهد قريب . واما الطيارة فبلغت علو ٢٦ الف قدم

فالطيارة تفضل البلون في سرعتها وصغرها وبالتالي عدم استهدافها للرماة وقدرتها على مقاومة الاحداث الجوية وعلى الارتفاع والحركة بسهولة بين صعود وهبوط وميل ذات اليمين او ذات الشمال

والفضل في طيران الطيارة ليلاً بعد اقتصارها عليه نهاراً عائد على بعض اهل الجرأة من كبار الطيارين مثل القومندور سمسن رئيس القسم البحري في فرقة الطيران الانكليزيه . وبذلك امست الطيارة خطراً على البلون اذا صعدت الى اعلى من ستة آلاف قدم اي الى حيث تصبح بعيدة عن متناول المدافع من تحت . وقد جهزت الطيارة العادية والطيارة المائية بقنابل تنفجر قبيل مسهما البلون او بعيده فتبيدانه باطلاق الهيدروجين من جرابه وذلك بعد ان ظهر ان ثقبه باطلاق الرصاص عليه ليس طريقة فعّالة تكفل هلاكه

ولما شهرت الحرب كان عند المانيا نحو سبع مئة طيار من المتمرنين على الطيران والماهرين فيه . وفي الشهرين الاولين من الحرب مرّنت مئة رجل غيرهم في جوار برلين وحدها.وزادت همتها على هذه النسبة في مراكز الطيران الاخرى فانها استولت بعد الحرب على جميع معامل الطيارات وميادين الطيران ومستودعات البلونات فاصبح عندها نحو اربعين مركزاً لتمرين الطلاّب ماعدا مدارس الطيران العسكرية في ست مدن منها مش وساربرج ومدرستي الطيران البحرية في مدينتين اخريين . وقد مرنت الجنود الهوائية قبل الحرب على الاعمال الفجائية بوجه خاص . فان مدير القسم الهوائي من الجيش كان يصدر الاوامر الفجائية بلا انذار سابق او شبه انذار الى عدد من الطيارات بان تجتمعَ في مكان معين من البلاد ثلاثاً ثلاثاً ثم يتوجه كل اسطول منها الى مكان آخر يعينه لها . فكانت تنفذ الاوامر بسرعة ودقة عجيبتين مما حمل الالمان على الثقة الكبرى بهذا السلاح من الجيش ولا سيما انها لم تكن تضيع من الوقت في خروجها اكثر مما تضيعه

فرقة المطافىء في لندن مثلاً . ولم يحدث اقل حادث ولا بدا ادنى تقصيرفيهذه التمرينات كلها

ووجهت المانيا عنايتها الى تأليف احتياطي كبير من الطيارين الملكيين فنجعتهم.على الطيران والانتظام في سلك هذه الخدمة بالمسابقات والاسفار ومنح جوائز للمجلّين . وقسمت هذا الاحتياطي قسمين الواحد عسكري والثاني ملكي بقيادة ضابط عسكري يرافق الجنود الهوائية في ميادين السباق بصفة مشاهد وملاحظ . فخرج المتسابقون غير مرة قاصدين حدود بروسيا الشرقية وطاروا فوق البلاد التي اظهرت روسيا فيها حركة غير معتادة.وقصد فريق آخر الحدود الفرنسوية وطار فوقها . وكان الفريقان يطيران فوق الحصون والقلاع ويستطلعان الحدود . وعند عودة المتسابقين كان الامبراطور او ولي عهده او شقيقه يمنحون جوائز للمجلين في الحلبة . فتارة كان القسم العسكري يفوز بالجائزة وطوراً القسم الملكي . وكثيراً ما كانوا ينفحونهم بجوائز ثمينة ليروهم ويروا سائر الامة معهم ان حكام البلاد من الامبراطور فنازلاً يهتمون مزيد الاهتمام بعمل كل جندي طيار وكل من يبني طيارة

ويقال بالاجمال ان متوسط ما تبنيه المانيا من بلونات تسبلن وحدها ٢٤بلوناً في السنة . ولا يتوهمنّ احد ان هذه البلونات تدمّر وتباد بتلك السرعة التي ترويها صحف الاخبار . فانه لم يؤسر في الستة الاسابيع الاولى من الحرب سوى بلونين من بلونات تسبلن ولكن المانيا اعتاضت من هذه الخسارة بما بنته فى تلك المدة على النسبة المتقدمة بفرض ان سرعة بناء البلونات لم تزد في زمن الحرب عما كانت فى زمن السلم . ومما يجب ان نتذكر فى هذا الباب ان البلون يستطيع حمل قنابل ثقيلة توفرت فيها جميع وسائط التخريب والتدمير وانه يستطيع ان يرتفع الى حيث لا يبلغ مدى المدافع المعدة لمقاومته . فلا شيء يعلوه

سوى الطيارات المائية . وانكلترا سابقة لالمانيا فيها . اما الطيارات العاديه فان فرنسا مساوية لالمانيا فيها سواء في عدد الطيارات ومهارة سوّاسها ومقدار ما يوقعه منها . وهكذا قل في سائر انواع الطيارات والبلونات ما عدا بلونات تسبلن فانه ليس عندها شيء منها

وكان عند المانيا في بادىء الحرب من السفن الهوائية المختلفة ضعف ما عند فرنسا ومن الرجال المدربين على الطيران اكثر من كل دولة اخرى . ويقدر عدد البلونات التي كانت عندها لما اعلنت الحرب بخمسة واربعين على القليل . ولم يكن بينها الا عدد صغير من بلونات تسبلن الكبيرة. ومعظمها يسير بسرعة نحو ٦٠ ميلاً في الساعة والواحد ثلثا تسبلن الكبير في طوله ويصول في ميدان نصف قطره ٨٠٠ ميل لا ١٢١٠ كالبلونات الضخمة

اما روسيا والنمسا فليس عندهما من البلونات والطيارات ما يستحق الذكر وان كانتا قد ابدتا اهتماماً يذكر باتقان هذا الفرع. وكان عند الحلفاء كلهم في اول الحرب مقدار ما عند المانيا والنمسا من السفن الهوائية ولكن لم يكن عندهم شيء من بلونات تسبلن . على ان طياراتهم كانت اكثر عدداً ومن انواع مختلفة وطياريهم اكثر عدداً ايضاً واوسع خبرة

ومن مزايا الحلفاء على المانيا والنمسا بهذا الشان ان فوز روسيا على النمسا في غاليشيا قطع عن النمسا مورداً من موارد البترول الكبرى. وحصر المانيا والنمسا بحراً حال دون جلبه من الخارج . ولا تخفى شدة لزوم البترول وقوداً للطيارات. وكان عند الدولتين حتى ابريل سنة ١٩١٤ مقدار عادي في مستودعاتهما منه فلا يمكن ان تكونا قد خزنتا منه مقداراً عظيماً تحسباً للحرب

وقد استخدمت البلونات والطيارات في شهري الحرب الاولين في اعمال شتّى دلّت على ان ما انفق من القوة والوقت عليها انفق في محله ولم يضع

سدى . واول خدمة جليلة خدمت بها الطيارات انكلترا حراسة الحملة الانكليزية من سواحل انكلترا الى سواحل فرنسا . فان حراسة السفن الحربية للنقالات التي تقل الجنود وامتعتهم نافعة ولكنها مقيدة ضيقة المدى لان المدرعات والطرادات لا ترى امامها ابعد مما ترى النقالات التي انتدبت لحمايتها اي مسافة ١٠ اميال في الكثير بخلاف السفن الهوائية فانها تستطيع رؤية عدو قادم في الهواء او على سطح الماء عن بعد ٥٠ ميلاً او ٦٠

وقد كان الحرس الهوائي الذي خفر الحملة مؤلفاً من نحو ١٤٠ قطعة . ومما يدل على مشقة العمل الذي تجشمه الطيارون ان احدهم بقي يعمل ثمانية ايام متتالية . فكان يطير من انكلترا الى فرنسا برفقة قسم من الحملة حتى اذا بلغ الساحل الفرنسوي عاد الى انكلترا في زورق بخاري ليرافق قسماً آخر في اليوم التالي وهكذا الى نهاية الثمانية الايام . وقد خدم قسم الطيارين الانكليزي الحملة الانكليزية والجيش الفرنسوي اجل خدمة حتى ذكره الجنرال فرنش في احد تقاريره مطرياً اعماله واشار اليه الجنرال جوفر بالثناء والاعجاب . وفي الستة الاسابيع الاولى من الحرب اتلف الطيارون الانكليز ست طيارات المانية بما ابدوا من المهارة والرشاقة اذ كانوا يطيرون فوق خصومهم الالمان ويطلقون النار عليهم فيسقطون الى اسفل

واهم منافع الطيارة في الحرب الاستكشاف. وفي اوامر قسم الطيران في الجيش الانكليزي انه يجب على الطيار المستطلع ان يكون على علو ستة آلاف قدم او نحو ذلك خشية ان يستهدف لرصاص الاعداء وحينئذ تبدو الاشباح التي على سطح الارض لعينيه ضئيلة ولكن المجال ينفسح امامه فيرى كل حركة وسكنه . واذا كان جندياً مدرباً ادرك معنى كل حركة مع شدة صغر المرئيات وابلغ قومه ذلك

ومن منافعها معاونة المدفعية على اصابة المرمى بتعيين مركز بطريات العدوّ ومعرفة عددها . ومتى عرف الطيار امكنة مدافع العدو المخبوءة ودلّ عليها جعل يراقب نتيجة اطلاق قومه لمدافعهم ثم يرسل الاشارات بالالوان البيضاء والحمراء والخضراء معلناً النتيجة. وهذه الاشارات ترى بجلاء على بعد ستة اميال اذا كان الجوّ صافي الاديم . فيخبرهم بواسطتها هل اصابوا الهدف ام لا. وهل انفجرت قنابلهم ام لم تنفجر . وكم يبعد رصاصهم عن الهدف . والى اية جهة يجب ان يوجهوا النار . وقد لا يكتفي بالانوار فيعود الى فوق بقعة معينة لالقاء رسالة عليها فيكتب ما يريد ثم يرمي ما كتبه الى اسفل

ومنها الاغارة على قواعد السفن الهوائية ومستودعاتها على سطح الارض . ففي اواسط اغسطس الماضي اغار ضابط فرنسوي بطيارته على مستودع الماني قرب متس فيل ان فيه بلوناً من نوع سبلن فالقى عليه عدة قنابل فاصابته واحدة واشعلت النار فيه . وفي اواخر سبتمبر قصد بعض الطيارين الانكليز مستودع بلونات تسبلن في مدينة دوسلدورف على الحدود الالمانية والقى القنابل عليه فاضرمت النار في البلون الذي كان فيه . ثم زحفوا على مدينة كولونيا لاضرام النار في مستودع البلونات الذي فيها ولكن الضباب حال دون رؤيتهم اياه فلم يلقوا القنابل على غير هدى خشية ان تلحق الاذى بما لا يريدون . قابل هذا العمل بالقاء الطيارين الالمان للقنابل على انفرس وباريس جزافاً ترَ عظم الفرق بين الفئتين . فانه لما اقتربت جيوشهم الى باريس في اواخر اغسطس رؤيت طياراتهم تحوم فوق المدينة لاستكشاف استحكاماتها وحصونها. وفي اول سبتمبر مرّت طيارة فوقها سراعاً فالقت قنبلة على محطة سان لازار في قلب المدينة ثم قنبلة اخرى في ميدان الاوبرا . والمظنون ان احدى القنبلتين اهلكت كثيراً من النفوس

وفي ٢٥ اغسطس طار بلون من نوع تسبلن فوق انفرس حتى اذا وقف فوق قصر الملك (وكان الملك واهل بيته فيه) القى عليه عدة قنابل صغيرة شديدة القوة فاوشكت اثنتان او ثلاث منهما ان تصيب القصر وانفجرت بدوي هائل فقتلت ١٢ شخصاً وجرحت بضعة اشخاص . وقد اهتدى ركاب البلون الى قصر الملك بواسطة اناس من الالمان في انفرس كانوا يخاطبونهم بالاشارات

ولما عاد البلون اطلقت الحصون النار عليه فلم تصبه. وفي تلك الليلة وليلة اول سبتمبر اعاد الكرة فقابلته الجنود بنار حامية اضطرته الى التقهقر بعد ان القى عدة قنابل لم تؤذ احداً . ومن ذلك الوقت لم تضرم نار ولا اضيء نور في انفرس بعد غروب الشمس فانقطعت البلونات عن التردد اليها

وفي اواخر سبتمبر اغار بلون على جو اوستند والقى القنابل عليها فلم تحدث فيها ضرراً يذكر . وكان الغرض من هذه الاغارة نسف قطار محمّل ذخيرة . ولكن القطار كان قد غادر المدينة قبل وصول البلون لحسن الحظ. فدلت هذه الحادثة على اتقان نظام البوليس السرّي الالماني وتفشي الجواسيس الالمان في كل ناحية

وقد استخدم الفرنسويون البلونات المسيّرة على الحدود الشرقية حيث بيّتوا المعسكرات الالمانية وفاجأوها بالقاء القنابل عليها

ولم يكن غرض المانيا استخدام بلونات تسبلن مع جيوشها البرية بل قد ذاع وشاع انها ترمي الى الاغارة على لندن بها . ولا يخفى ان في هذه البلونات انواعاً متعددة من المواد القابلة الانفجار . فان البلون الذي هاجم انفرس كان يحمل كرات ديناميت قطر الكرة منها ٨،٢ البوصة وثقلها ٢٥٠ رطلاً وثخن جدارها بوصة وفيها مادة شديدة الانفجار . والقنابل التي القيت عليها في اول سبتمبر كانت قنابل من المسماة «شرابنل» محشوة رصاصاً يحدث جروحاً هائلة

الفصل السابع عشر
استعداد السرب للقاء النمسا

النمسا عدوة السرب — استعداد السرب للحرب — قوة الجيش السربي — مركز البلغار — وصاية روسيا على الامم الصقلبية — مركز رومانيا — النزاع القديم بين رومانيا والنمسا — مسأولية النمسا عن تأخر مقدونية — تجسس النمسا في البلقان — مساعي التفريق بين السرب والجبل الاسود — قيمة الجيش السربي في الميدان

لما قامت الحرب الحاضرة كانت السرب لا تزال دئبة في تنظيم جيشها كسائر ممالك البلقان وخزينتها فارغة واهلها متعبون من الحرب الماضية .وكانت سنتان قد مرّتا عليها وهي تنازع على وجودها وسط دسائس وشراك سياسية نصبتها لها النمسا .وقد طلب من اهلها في خلالهما ان يقدموا اعزّ ما لديهم من دم ومال. وكان يظنّ ان حرب تركيا انضبت مواردها المالية وفلّت من غرب روحها الوطنية . وان كل سربي غيور على وطنه قدم في تلك الحرب كل ما كان يملك . ولكن اتضح فيما بعد ان هذا الظنّ في غير محله . فانه ما كادت الحرب تثور بين الممالك البلقانية التي كانت متحالفة على تركيا حتى سرى في البلاد روح حمية لا تقل عن الحمية الاولى في شدتها واندفاعها واقبل السربيون من كل حدب يقدمون انفسهم واموالهم الى الحكومة . فان السربي يبغض التركي ويحتقره . وهو كذلك يشمئز من البلغاري وكان يخالط هذا الاشمئزاز ميل شديد الى الثأر واقتراص الفرصة لمحو اثر الانتصار البلغاري في الجيل السابق

على انه مر عليه قرن من الزمان او اكثر وهو يعدّ النمسا عدوة وطنه ومستعبدة اخيه الصقلبي من رعيتها وطاغية يخاف ويبغض ولا بد من اهلاكه عاجلا او آجلاً .فلذلك استقبل اهل السرب اعلان النمسا للحرب عليهم بصدور رحبة وحسبوه الازمة الكبرى في كيانهم الوطني والكارثة التي يجدر بكل

سربي رجلاً كان او امرأة او غلاماً ان يضحي في سبيلها كل ما لديه من قوة : بدنية وما ملكت يمينه من حطام او ينال النصر

ولم تكد معاهدة بخارست تمضي في سنة ١٩١٣ بين المالك البلقانية حتى وجه اركان حرب الجيش السربي همه الاول الى اعادة تنظيم الجيش حتى يستطيع الوقوف والثبات في المعترك الذي لا بد منه مع النمسا . والمعروف ان روسيا انذرت السرب في الاوان اللازم بان الخطر النمسوي اقرب مما يخطر لها ببال . وقالت لها في انذارها ان النمسا ستتمحل عذراً لمحاربتك في خلال سنة ١٩١٤ واني انا ابذل اقصى المجهود في تنظيم جيشي واساطيلي حتى اذا جاءت الساعة ودهتني النائبة كنت مستعدة لاقدم لك مساعده حسية ولا اكتفي بالمساعده السياسية المعنوية التي اضطررت الى الاكتفاء بها في الماضي في سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٢

فسمعت الحكومة السربية هذا الانذار ووعته وشرعت تعمل بموجبه وتعدّ عدتها لذلك اليوم العصيب . ووضع اركان حرب الجيش مشروعاً لجمع كل رجل قادر على حمل السلاح من السربيين اهل الولايات التي ضمت الى املاكها بعد الحرب البلقانية وهي نوفي بازار والسرب القديمة ومناستير ونظمهم في سلك الجيش . وفي اواخر الحرب بين السرب والبلغار كان عند السرب ٢٩٥ الف رجل تحت السلاح ولكن لم يكن هناك وقت كاف لاعادة تنظيم هذا الجيش وتجهيزه بما يلزمه من الضباط والمدافع . فوضعت الحكومة مشروعاً خلاصته قسمة الجيش الاكبر الى اربعة جيوش كل منها تيالف من اربع فرق . الاول جيش الدانوب ومركزه بلانكا . والثاني جيش الشرق ومركزه نيش . والثالث جيش الغرب ومركزه اوشتزا . والرابع جيش الجنوب ومركزه اسكوب . وعين ٢٠ الف جندي لخفارة الحدود ووزع ١٢ الفاً على الحاميات

وفرض اركان الحرب امكان حدوث امرين بوجه خاص:الاول تجدد الحرب مع البلغار.وفي هذه الحالة يصبح الجيش الشرقي مركز الاعمال الحربية ويكون جيش الدانوب على ميسرته وجيش الجنوب على ميمنته . ويبقى جيش الغرب احتياطياً وربما اقام في نيش . والثاني وقوع حرب مع النمسا فتحاول الجيوش النمسوية عبور الدانوب لغزوة السرب وتقوم بحركة فرعية من الشمال الغربي والغرب من جهة سراجيفو . وفي هذه الحالة يصبح الجيش السربي المعتمد على نيش ميمنة ويتقهقر القلب من خط الدانوب ولكنه يبقى راس مثلث متجهاً شمالاً ويحمي ميسرته جيش الغرب . ويضع الجبل الاسود ٤٠ الف رجل لحماية ميسرة جيش الغرب . اما جيش الجنوب فاما ان يؤتى به لتعزيز المثلث واما ان يعهد اليه في الزحف بطريق نوفي بازار بمعاونة الجبليين يسرة وجيش الغرب يمنة

وكان كل جيش مؤلفاً من اربع فرق والفرقة مؤلفة من لواءين من المشاة عدة كل منهما ٦ آلاف مقاتل . واورطتين من المدفعية عدة كل منهما ٦٠٠رجل ومعها ١٢ مدفعاً . وبلوك من الفرسان عدته ٦٠٠ فارس وتوابع آخرين من مهندسين وغيرهم يبلغ عددهم ١٢٠٠ رجل . فمجموع الفرقة ١٥ الفاً . وقد الحق بكل جيش بعض بطريات المدافع الضخمة وبعض المشاة والمهندسين غير ما تقدم ذكره والاي من الفرسان عدته الفا فارس . فاصبح مجموع كل جيش من هذه الجيوش الاربعة نحو ٦٥ الفاً والمجموع الكلي ٢٦٠ الفاً يضاف اليهم ٢٠ الفاً من حرس الحدود و١٢ الفاً من جنود الحاميات فيصبح مجموع القوات كلها ٢٩٢ الفاً . وقد قدر انه يجتمع عند التعبئة العامة ٣٤٠ الف رجل ولكن ٤٠ الفاً منهم يكونون بلا تدريب ولا تمرين اذا قامت الحرب في النصف الاول من السنة الجارية.وعليه استقر الرأي ان يسد بهم النقص الذي يطرأ على الصفوف في

ميدان القتال وكذلك قر القرار على تأليف فرقة مستقلة من الخيالة عدتها ستة آلاف .

ولا ريب ان نظام جيوش الميدان كان تاماً وميرتها موفورة . ومما يستدعي الالتفات ان تعبئة الجيش السربي تمت باقصر ما يمكن من الوقت او بنصف ما قدر اركان حرب الجيش النمسوي . وقبل الكلام على ماجريات ميدان القتال لا نرى بدّاً من البحث في العوامل السياسية والحربية التي كانت تتحكم بتلك الماجريات

كل سربي صحيح الوطنية ينظر الى البوسنه والهرسك نظر الفرنساوي الصميم الى ولايتي الزاس ولورين فيعدهما جزأً من سلطنة قديمة عظيمة الحقيا الى حين باملاك اجنبي مغتصب . وبين رعايا النمسا عشرة ملايين سربي على القليل جمهورهم توّاق الى خلع نير الغريب عنهم في اول فرصة ملائمة تسنح لهم . والى الغرب بقعة سهلة المنال على كل جيش سربي جبلي يقصد بلوغ سراجيفو بادىء ذي بدء لان الجيش يطأ ارضاً سكانها يسالمونه ويقبلون ايما اقبال على الخدمة تحت لواء اسيادهم الاولين

فاللقمة سائغة كيفما قلبتها . ولا ريب ان اركان حرب الجيش السربي ساءهم تأجيل حرب كانت تبشرهم بالمجد والنصر ولو كان ذلك التأجيل وقتياً.ولكن كانت هناك عوامل اخرى يجب ان يحسب حسابها اهمها ان كل خطوة يخطونها نحو سراجيفو تبعدهم خطوة عن حدود البلغار.ولما اكرهت رومانيا ممالك البلقان على عقد الصلح سنة ١٩١٣ بما لها من القوة العسكرية التي لم يطرأ عليها ضعف صرحت البلغار انها انما تحسب الصلح متاركة وهدنة وعزت انكسار جيشها الى خيانة تركيا ورومانيا لا الى كفاءة الجيوش اليونانية والسربية . وقالت انها تغتنم اول فرصة للانتقام من السرب واليونان على ما الحقوا بها من الذل والهوان .

وقد وجدت فرصتها في اعلان النمسا للحرب على السرب وفي تصرم العلاقات السياسية بين تركيا واليونان.فقالت في نفسها اني آخذ السرب مجانبة النمسا تغزوها من الشمال واليونان لانستطيع ان تساعدحليفتها مساعدة تذكر لاشتغالها عنها بالاستعداد لمحاربة تركيا

على ان الذين يلمّون بدخائل تاريخ البلقان الحديث يعلمون الاسباب الثلاثة التي حالت دون اقدام البلغار على محاربة السرب ومساعدة النمسا . واول تلك الاسباب واهمها رومانيا . فانها بما عندها من الثروة الاحتياطية الكثيرة والجيش البديع المؤلف من نصف مليون مقاتل اصبحت من البلقان بمكان البوليس العام. وقالت بطريق البت" والجزم انها بصرف النظر عن المحالفة الدفاعية التي عقدتها مع السرب واليونان تشهر الحرب بلا تردد على كل دولة من دول البلقان تعبث بالسلام . وكان ظاهر هذا الوعيد مصوّباً الى البلغاروحدها ولكن تركيا ادركت انها هي ايضاً معنيّة به . وقد فهمت البلغار انه اذا حاربت السرب في اوائل الحرب وزحمتها بينها وبين النمسا بانت هي ايضاً بين نارين نار السرب من الغرب ونار الرومان من الشمال.

فرأى ساسة البلغار انه خير لهم ان يرقبوا الحوادث متربصين . فاذا انتصرت النمسا انتصاراً لامعاً على خصيمتها سنحت لهم اذ ذاك فرص الثار بانفسهم لان رومانيا تحجم في حالة مثل هذه عن خوض المعمعان فيما يرجّح . ومهما يكن من الامر فان البلغار تنتظر اذ لا تخسر شيئاً بالانتظار . ثم انها بانتظارها تخدم النمسا لان السرب لا تستدعي جيشها الشرقي من نيش الا اذا ضمنت حياد البلغار

والسبب الثاني ماليّ صرف . فان حربي البلقان تركا الخزينة البلغارية فارغة ولا سبيل الى المال إلا بفرض ضريبة خاصة على الامة . نعم ان البلغاريين جمعوا ثروة كبيرة مدة الحربين لان المواسم كانت فيهما وافرة وفوراً يفوق

المعتاد وكل ضابط وجندي في جيوشهم ارسل الى اهله اسلاباً وغنائم ثمينة نهبت من مقدونية وتراقية . على ان القوم يأبون اعطاء ما عندهم من تلك الاسلاب او بيعه ليدفعوا ضريبة خاصة بالحرب ولا سيما ان حرباً ثالثة تثار ويخوضون غمارها لا تبشر بمثل خبرات الحربين الماضيتين سواء كانت السرب ميدانها او مقدونية . فان الغنائم في السرب قليلة ومقدونية جرّدت تمام التجريد مما فيها . وزد على ذلك ان البلغاريين كلّوا من الحرب وملوا وكلّ حكومة تزج بهم فيها يقلبون لها ظهر المجنّ في اول فرصة تسنح لهم

والسبب الثالث اوجه من السابقين .فان البلغار خسرت في الحرب الثانية خسارة عظيمة جداً في الميرة والذخيرة والسلاح فقد بلغت خسارتها ٣٠٠ مدفع وعدداً كبيراً من البنادق . وما بقي عندها من المدافع والبنادق لا يصلح لحرب لكثرة استعماله . والذخيرة الباقية غير كافية.ولوانضمت الى النمسا ما استطاعت النمسا ولا المانيا امدادها بما يلزمها من السلاح والذخيرة لانهما في حاجة الى كل ما لديهما وما تستطيعان صنعه منهما

والسرب تعلم حرج موقف البلغار الناشيء عن هذه الاسباب ولكنها لا تستطيع المجازفة بشيء ما فلذلك ابقت جيشها الشرقي في نيش راقبة مجرى الحوادث . وكان كل يوم يمرّ على الحرب الحاضرة يري ساسة البلغار وجوب التشبث بحيادهم . فان انتصار النمسا اللامع الذي كانت البلغار تنتظره علامة لمروقها الاخير من العالم الصقلبي كان نصراً لامعاً للسرب وفشلاً شائناً للنمسا. ثم ان تقدم روسيا البديع في غاليشيا اقنع اشد البلغاريين ميلاً الى الحرب بانه قد تمر ساعات يكون خيراً للمرء فيها ان يرقي على ظلعه ولا ينبس ببنت شفة . ولو كانت هناك حاجة الى زيادة الاقناع لوجده البلغاريون في حشد رومانيا [illegible] الف جندي على حدودهم تحوطاً للطوارىء.